جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الجُمْلَةُ الاعْتِرَاضِيَّةُ ودَلَالاتُهَا فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَان عِنْدَ الطَّاهِرِ بنِ عَاشُور (ت/ ١٣٩٣هـ) فِي تَفْسِيرِهِ التَّحْرِير والتَّنوِير

إعداد

د/ عبدالحميد حمدي عبدالحميد المقدم

أستاذ مشارك بقسم اللغة والنحو والصرف كلية اللغة العربية وآدابها

جامعة أم القرى -مكة المكرمة

(العدد السادس والثلاثون)

(الإصدار الثاني .. مايو)

(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

علمية- محكمة- ربع سنوية

الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

الجُمْلَةُ الاعْتِرَاضِيَّةُ ودَلالاتُهَا فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَان عِنْدَ الطَّاهِرِ بنِ عَاشور (ت/ ١٣٩٣هـ) فِي تَفْسِيرِهِ التَّحْرِير والتَّنوِير

عبدالحميد حمدي عبدالحميد المقدم

قسم اللغة والنحو والصرف، كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني:abdulhamidhamdi@gmail.com

الملخص:

كان الإمام الطاهر بن عاشور ممَّن عني بدلالة النصّ القرآنيّ في تفسيره، والمتأمل فيه يجد لمؤلفه عقلاً راجحاً، ورأياً صائباً، وسعة فكر، وحجةً قويةً، ولأهمية دور الجملة الاعتراضية في خدمة السياق وتعدّد دلالاتها في التراكيب اللغوية التي تنتظم فيها آثرت أن أسلِّطَ الضوءَ عليها في كتاب الله، فكان هذا البحث وقدْ دفعَني إلى اختِيار هذا المَوضوع عِدَّةُ أسْبَابٍ مِنْها: الرغبة الملحة في الإسهام في خدمة كتاب الله ولو بهذا الجهد المتواضع من خلال هذا البحث. وأهمية الجمل الاعتراضية والجانب الدلالي في استنباط معاني القرآن الكريم وفهمها. كما يُعدُّ الطاهر بن عاشور آخر المبدعين مِن المفسرين اللغويين الذين اعتنوا بدلالة النص القرآني، وبجملة الاعتراض في تفسيرهم لمعاني القرآن، فآثرت إبراز جهده في بيان الجملة الاعتراضية ودلالاتها في سورة آل عمران من خلال هذه الدراسة في تفسيره الذي لا تخفى قيمته. وإبراز مظهر من مظاهر الإبداع القرآني في استعمال اللغة وأساليبها. أيضًا بيان مدى موافقة الطاهر ابن عاشور أو مخالفته لمن سبقه من المفسرين الذين أخذ عنهم. مشكلة البحث: مِن المأمول أنْ يحاول البحث الإجابة عن التساؤلات التالية: ما المقصود بمصطلح الجملة الاعتراضية؟ لماذا كانت البحث في تفسير التحرير والتنوير؟) مَنْ أوَّلُ مَنْ استخدم مصطلح الاعتراض؟ ما الصور التي وردت عليها الجملة الاعتراضية في سورة آل عمران؟ ما منهج الطاهر ابن عاشور في تَعامله مع الجملة

الاعتراضية في السورة الكريمة؟ هل للقراءات القرآنية دور في توجيه معنى الجملة الاعتراضية في سورة آل عمران؟ هل كانت مواضع جملة الاعتراض في السورة الكريمة محلّ خلاف بين الشيخ والمعربين؟ وقد اقتضت طبيعة الموضوع اعتماد المنهج الاستقرائي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: الجُمْلَةُ الاعْتِرَاضِيَّةُ، سُورَةِ آلِ عِمْرَان، الطَّاهِرِ بنِ عَاشور، التحرير والتنوير، تفسير.

The parenthetical sentence and its implications in Surat Al-Imran according to Al-Taher bin Ashour (d. 1393 AH) in his commentary at Tahrir and Tanweer

Abdul Hamid Hamdi Abdul Hamid Almokadim
Department of Language, Grammar and Morphology, College of Arabic Language and Literature, Umm Al-Qura University, Makkah Al-Mukarramah, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: abdulhamidhamdi@gmail.com

Abstract:
Imam Al-Taher Bin Ashour was one of those who mentioned me by the significance of the Qur'anic text in his interpretation, and the contemplator in it finds for its author a correct mind, a correct opinion, a breadth of thought, and a strong argument. The light on it in the Book of God, so this research was and it prompted me to choose this topic for several reasons, including: the urgent desire to contribute to the service of the Book of God, even with this modest effort through this research. And the importance of interceptive sentences and the semantic aspect in deriving and understanding the meanings of the Holy Qur'an. Al-Taher bin Ashour is considered the last creator of the linguistic interpreters who took care of the significance of the Qur'anic text, and the sentence of objection in their interpretation of the meanings of the Qur'an. And highlighting a manifestation of Quranic creativity in the use of language and its methods. Also, an indication of the extent to which Al-Taher Ibn Ashour agreed or disagreed with those who preceded him among the commentators from whom he was taken. Research problem: It is hoped that the research will try to answer the following questions: What is meant by the term interlocutory sentence? Why was the research on the interpretation of liberation and enlightenment?) Who was the first to use the term objection? What are the images of the objectionable

sentence in Surat Al-Imran? What is the approach of Al-Taher Ibn Ashour in his dealings with the objectionable sentence in the Holy Surah? Do Quranic readings have a role in guiding the meaning of the interlocutory sentence in Surat Al-Imran? Were the positions of the objection sentence in the noble surah a point of contention between the sheikh and the Arabists? The nature of the subject necessitated the adoption of the analytical inductive approach.
Keywords: the interlocutory sentence, Surat Al-Imran, Al-Taher bin Ashour, Tahrir and Al-Tanweer, Interpretation.

المقدمة

الحَمْدُ لِلهِ الَّذي أَنْزَلَ القُرآنَ هُدى ورَحْمَةً لِلعَالَمين، ونُوراً وضِياءً لِلمُهْتَدين، ومُرشِدَاً ومُعَلِّمَاً للرَّاغِبين، ومَنْهَلاً عَذْباً لِلطَّالِبين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سَيِّدِنَا مُحِمَّدٍ وعلى آلِهِ وأَصْحَابِهِ أَجْمَعِين. **وبعد،،،**

فإنَّ شرفَ العِلمِ على قدر شرف المعلوم، وإنَّ أحقَّ ما يتعلمه المتعلمون وأشرف ما يشتغل به الباحثون، وأفضل ما يتسابق إليه المتسابقون، مدارسة كتاب الله–تعالى–فهو خير ما صرفت إليه الهمم، وأعظم ما نطق به لسان، وجال فيه فكر، غير أنَّ الغاية العظمى مِنْ إنزاله هي تدبُّره، والتَّفكُّر في آياته ومعانيه.

وها نحن بعد قرون وقرون نرى عَزْمَ العلماء يتجدد، وعطاءهم يتمدد، وكأن معاني القرآن لا تزال بكراً لم تطمث من قبل، بل ما زالوا يعملون أذهانهم في التفسير ودلالة النصّ القرآنيّ على تفاوت بينهم.

وكان الإمام الطاهر بن عاشور (ت/ ١٣٩٣هـ) ممَّن عني بدلالة النصّ القرآنيّ في تفسيره المسمى:

" التحرير والتنوير" والذي اختصره من اسمه الأصلي " تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، وتفسير الكتاب المجيد "، والمتأمل فيه يجد لمؤلفه عقلاً راجحاً، ورأياً صائباً، وسعة فكر، وحجةً قويةً؛ فالطاهر ابن عاشور طبريُّ زمانه علماً، وزمخشريُّ أوانه بلاغة.

والجملةُ القرآنية مازالت بحاجة إلى كثير من الجهد والدراسة للكشف عن طريقة استخدام القرآن الكريم للجمل، وعن تركيبها في أبلغ كلام –كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه–.

ولأهمية دور الجملة الاعتراضية في خدمة السياق وتعدّد دلالاتها في التراكيب اللغوية التي تنتظم فيها آثرت أن أسلّطَ الضوءَ عليها في كتاب الله، فكان هذا البحث الموسوم بـ: **الجُمْلَةُ الاعْتِرَاضِيَّةُ ودَلالاتُهَا فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَان عِنْدَ الطَّاهِرِ بنِ عَاشور(ت/ ١٣٩٣هـ) فِي تَفْسِيرِهِ التَّحْرِير والتَّنَوِير.**

وقدْ دفعَني إلى اختِيار هذا المَوضوع عِدَّةُ أسْبَابٍ مِنْها:

١) الرغبة الملحة في الإسهام في خدمة كتاب الله ولو بهذا الجهد المتواضع من خلال هذا البحث.

٢) أهمية الجمل الاعتراضية والجانب الدلالي في استنباط معاني القرآن الكريم وفهمها.

٣) يُعدُّ الطاهر بن عاشور آخر المبدعين مِن المفسرين اللغويين الذين اعتنوا بدلالة النص القرآني، وبجملة الاعتراض في تفسيرهم لمعاني القرآن، فآثرت إبراز جهده في بيان الجملة الاعتراضية ودلالاتها في سورة آل عمران من خلال هذه الدراسة في تفسيره الذي لا تخفى قيمته.

٤) إبراز مظهر من مظاهر الإبداع القرآني في استعمال اللغة وأساليبها.

٥) بيان مدى موافقة الطاهر ابن عاشور أو مخالفته لمن سبقه من المفسرين الذين أخذ عنهم.

مشكلة البحث: مِن المأمول أنْ يحاول البحث الإجابة عن التساؤلات التالية:

١) ما المقصود بمصطلح الجملة الاعتراضية؟

٢) لماذا كان البحث في تفسير التحرير والتنوير؟

٣) مَنْ أوَّلُ مَنْ استخدم مصطلح الاعتراض؟

٤) ما الصور التي وردت عليها الجملة الاعتراضية في سورة آل عمران؟

٥) ما منهج الطاهر ابن عاشور في تَعامله مع الجملة الاعتراضية في السورة الكريمة؟

٦) هل للقراءات القرآنية دور في توجيه معنى الجملة الاعتراضية في سورة آل عمران؟

٧) هل كانت مواضع جملة الاعتراض في السورة الكريمة محلّ خلاف بين الشيخ والمعربين؟

حدود البحث:

إنَّ استقصاء الجملة الاعتراضية في القرآن الكريم كلّه من السعة يخرج البحث عن طبيعته، فقد وقع الاختيار على سورة آل عمران في تفسير التحرير والتنوير ميدانا للموضوع، فهي تمثل نموذجا تطبيقيا كافيا.

وقد استوى البحث في فصلين، تسبقهما مقدمة، وتقفوهما خاتمة. وتفصيل ذلك على النحو التالي:

- **المقدمة:** وفيها الحديثُ عنْ: دوافِع اختِيارِ المَوضوع ومَنهجِ الدِّراسة.
- **التمهيد:** وفيه الحديثُ الموجز عن: تعريفِ الجملة والاعتراض في الاصطلاحين: اللغوي والنحوي، الاعتراض في لغة العرب والنَّظم القرآني، أوَّلُ مَنْ استخدم مصطلح الاعتراض، مَواضِعُ الجُملةِ المُعترِضَة
- **الفَصْلُ الأوَّلُ: تفسير التحرير والتنوير وموقف صاحبه من الجملة الاعتراضية.**

– **المبحث الأول:** لماذا كانت الدراسة في التحرير والتنوير؟

– **المبحث الثاني:** مَنْهَجُ الطاهر بن عاشور في الجملة الاعتراضية في سورة آل عمران.

- **الفَصْلُ الثَّاني: مواضع الجمل الاعتراضية ودلالاتها عند الطاهر بن عاشور في سورة آل عمران**

وفيه اثنان وعشرون موضعا.

- **الخاتمة:** وفيه أَهَمُّ النَّتَائِجِ التِي تَمَخَّضَتْ عَنْهَا هَذِهِ الدِّرَاسَة.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع اعتماد المنهج الاستقرائي التحليلي، والمتمثل في الخطوات التالية:

- حَصْرُ مواضع الجمل الاعتراضية في سورة آل عمران عند الطاهر بن عاشور في تفسيره.
- ذِكرُ نَصِّ الآية التي وردت فيها جملة الاعتراض.

- تعيينُ جملة الاعتراض بإعرابها؛ وذلك لدور الإعراب وتأثيره في فهم القرآن وتفسيره.
- بيان معنى الآية بإيجاز؛ لأنَّ السياقَ الذي تقع فيه من أبرز القرائن المعينة على فهم النَّصِّ القرآني ومعرفة غرض الاعتراض.
- دراسة موضع جملة الاعتراض معتمدا في ذلك على كتب أهل اللغة والتفسير والإعراب والقراءات، وتحليل الجملة الاعتراضية ببيان ما فيها من أسرار ودقائق ودلالات نَصَّ عليها الشيخُ في تفسيره.

وَأَوَدُّ أنْ أحِيطَ القَارِئَ الكَرِيمَ بِأَنَّ البَحْثَ سَيَدْخُلُ فِي مَيْدَانِ الدِّرَاسَةِ مُبَاشَرَةً دُونَ الترجَمَةِ للطاهر بن عاشور؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مَبْثُوثٌ فِي مُقَدِّمَةِ تَحْقِيقِ تَفْسِيرِه المَعْنِيِّ بِالدِّرَاسَةِ.

ولا أَدَّعِي أَنِّي أَنْشَأْتُ وابْتَكَرتُ، ولا أَحْدَثْتُ وابْتَدَعْتُ، كَمَا لا أَدَّعِي أَنِّي بَلَغْتُ الكَمَالَ؛ لأَنَّ الكَمَالَ لِلهِ وَحْدَه، لكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أبيِّنَ أَنِّي لَمْ أَدَّخِرْ فيهِ جُهْدًا، ولَمْ أَضِنَّ عَلَيهِ بِمَا مَلَكْتُ، فإنْ وَفَّقْتُ فِيهِ فَبِفَضْلِ اللهِ – عَزَّ وجَلَّ – وإنْ كَانَت الأُخْرَى فَمِنِّي، وحَسْبِي فِيهِ أَنِّي حَاوَلْتُ، ولَا تَخْلُو المُحَاوَلَةُ مِنْ فَائِدَةٍ أَبْتَغِي مِنْهَا رِضَا اللهِ سُبْحَانَه. وآخر دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين. **مِنْ أَمَامِ الكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ –رمضان– ١٤٤٤هـ**

تمهيد

- **الجملة في الاصطلاح اللغوي:**

يقول ابن فارس:" الجِيمُ وَالمِيمُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا تَجَمُّعُ وَعِظَمُ الْخَلْقِ، وَالْآخَرُ حُسْنٌ. فَالْأَوَّلُ قَوْلُكَ: أَجْمَلْتُ الشَّيْءَ، وَهَذِهِ جُمْلَةُ الشَّيْءِ. وَأَجْمَلْتُهُ حَصَّلْتُهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْجَمَلُ مِنْ هَذَا؛ لِعِظَمِ خَلْقِهِ. وَالْأَصْلُ الْآخَرُ الْجَمَالُ، وَهُوَ ضِدُّ الْقُبْحِ".(١)

ويقول ابن منظور: "الجُمْلَة: وَاحِدَةُ الجُمَل. والجُمْلَة: جَمَاعَةُ الشَّيْءِ. وأَجْمَلَ الشيءَ: جَمَعَهُ عَنْ تَفْرِقَةٍ؛ وأَجْمَلَ لَهُ الْحِسَابَ كَذَلِكَ. والجُمْلَة: جَمَاعَةُ كُلِّ شَيْءٍ بِكَمَالِهِ مِنِ الحِسَابِ وَغَيْرِهِ. يُقَالُ: أَجْمَلْتُ لَهُ الحسابَ والكلامَ".(٢)

وجاء في القرآن الكريم قوله –تعالى–(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) (٣)، أي: هَلَّا نَزَلَ القرآنُ على محمد –ﷺ– جُمْلَةً وَاحِدَة كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة؟ (٤)

- **الجملة في الاصطلاح النحوي:**

المراد بالجملة في نظر النحويين: الفعلُ وفاعلُه كقولك: قامَ زيدٌ، والمبتدأُ وخبرُه كقولك: زيدٌ قامَ، وما كان بمنزلة أحدهما نحو: ضُربَ اللصُّ، وأقائمٌ الزيدان؟ وكانَ زيدٌ قائماً، وظَنَنْتُهُ قائماً.

فالجملة هي: الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أي لغة من اللغات، وهي المُرَكَّب الذي يُبيِّنُ المتكلمُ به أنَّ صورةً ذهنيةً كانت قد تألَّفت

---

(١) مقاييس اللغة (ج م ل)

(٢) لسان العرب (ج م ل)

(٣) الفرقان: ٣٢

(٤) التحرير والتنوير، ١٩/ ١٨، تفسير الطبري، ١٧/ ٤٤٥، التفسير البسيط، ١٦/ ٤٨٩

أجزاؤها في ذهنه، ثمَّ هي الوسيلة التي تنقلُ ما جالَ في ذهنِ المتكلِّم إلى ذهنِ السَّامعِ. (١)

- **الاعتراض في الاصطلاح اللغوي:**

الاعتراض: مصدر خماسيّ للفعل (اعْتَرَضَ) وورد في المعاجم بعدة معان. أهمها: المَنْعُ وعَدَمُ الاستِقَامَةِ.

يقول الأزهريُّ:" يُقَال اعْتَرَضَ الشيءُ، إذا مَنَعَ، كالخَشَبةِ المُعتَرضَةِ فِي الطَّرِيق تَمنَعُ السَّالكين سلوكَها".(٢)، ويقول في موضع آخر:" وكلُّ مانعٍ منعَكَ من شُغل وَغَيره من الْأَمْرَاض فَهُوَ عارضٌ، وَقد عَرضَ عارضٌ، أَي حَال حائلٌ وَمنع مَانع".(٣)

ويقول ابن منظور:" يُقَالُ: اعتَرَضَ الشيءُ دُونَ الشيءِ. أَي: حَالَ دُونَهُ".(٤)

- **الاعتراض في الاصطلاح النحوي:**

إنَّ مِن سُنَن العَرب أنْ يَعترِضَ بينَ الكلامِ وتمامِهِ كلامٌ، ولا يكون هذا المُعترِضُ إلا مُفيداً، وقد اصطلح العلماء على تسمية هذا الأسلوب بالاعتِراضِ، أو الجملة المُعترِضَة، أو الاعتِراضِيَّة.

يقول ابن هشام في حديثه عن الجمل الَّتِي لَا مَحل لَهَا من الاعراب:" الجُمْلَة الثَّانِيَة المُعترِضَة بَين شَيْئَيْنِ لإفَادَة الكَلَام تَقْوِيَةً وتسديداً أَو تحسيناً".(٥)

(١) في النحو العربي نقد وتوجيه، ٣١
(٢) تهذيب اللغة، (ع ر ض)
(٣) المرجع السابق، (ع ض د)
(٤) لسان العرب، (ع ر ض)
(٥) مغني اللبيب، ٥٠٦

وقوله: "بين شيئين" أي: متلازمين، وقوله: "تقويةً" أي: توكيداً، وقوله: "تسديداً: مرادف لما قبله، وقوله:" تحسيناً أي: هي لمجرد تزيين اللفظ. (١)

ويقول الشريف الجرجاني:" الاعتراضُ: هو أنْ يأتي في أثناء كلام، أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محلَّ لها من الإعراب، لنكتة سوى رفع الإبهام، ويسمى الحَشْوُ أيضًا، كالتنزيه في قوله –تعالى–(وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ البَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ)(٢)؛ فإن قوله: "سُبْحَانَهُ" جملةٌ معترضةٌ لكونها بتقدير الفعل وقعت في أثناء الكلام، لأنَّ قوله "ولهم ما يشتهون" عطف على قوله "البنات"، والنكتة فيه تنزيه الله عما ينسبون إليه". (٣)

وعرَّفها فخر الدين قباوة بقوله:" الجملة التي تعترض بين شيئين متلازمين، أو متطالبين، لتوكيد الكلام، أو توضيحه، أو تحسينه. وتكون ذات علاقة معنوية بالكلام الذي اعترضت بين جزأيه، وليست معمولة لشيء منه".(٤)

- **الاعتراض في لغة العرب والنَّظم القرآني:**

كثر أسلوب الاعتراض في كلام العرب المنظوم والمنثور وفي النظم القرآني. وإلى ذلك أشار ابن جني في باب الاعتراض بقوله:" اعلم أن هذا القبيل من هذا العلم كثير قد جاء في القرآن وفصيح الشعر ومنثور الكلام. وهو جار عند العرب مجرى التأكيد".(٥)

(١) حاشية الدسوقي على مغني اللبيب، ٢/ ٥٨

(٢) النحل: ٥٧

(٣) التعريفات، ٣٠، ٣١

(٤) إعراب الجمل وأشباه الجمل، ٦٧

(٥) الخصائص، ١/ ٣٣٦

ويقول في موضع آخر:" والاعتراضُ في شعر العرب ومنثورها كثيرٌ وحَسَنٌ ودالٌّ على فصاحة المتكلم وقوة نفسه وامتداد نفسه وقد رأيته في أشعار المحدثين".(١)

وضَمَّت كُتُبُ إعراب القرآن، ودواوينُ الشعراء، وكُتُبُ اللغة والنَّحو الكثيرَ من النَماذِجِ الدالة على هذا الأسلوب التي لا يُمكن حصرها.

- **أوَّلُ مَنْ استخدم مصطلح الاعتراض:**

أوَّلُ مَنْ قال بمصطلح "الاعْتِرَاضِ" مِن النحاة هُوَ الفرَّاءُ (ت ٢٠٧هـ)، وقد أورَدَه في معانيه اسماً تارةً وفعلاً أخرى. ففي قولِه –تعالى–(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)(٢) يقول الفراء:" وقرأ ابن عَبَّاس بكسر الأول وفتح (أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَام)، وهو وجه جيّد جعل (إِنَّهُ لَا إِلَهَ إلا هُوَ)(٣) مستأنفة معترضة".(٤)

وفي قولِه –تعالى–(رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)(٥) يقول الفراء:" الفراء:" هَذِه الفاء جوابٌ للجزاء لقوله (إِمَّا تُرِيَنِّي) (٦) اعترض النداء بينهما كما: تَقُولُ إنْ تأتني يا زيد فعجِّل".(٧)

---

(١) المرجع السابق، ١/ ٣٤١

(٢) آل عمران: ١٩

(٣) آل عمران: ١٨، والآية (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

(٤) معاني القرآن للفراء، ١/ ٢٠٠

(٥) المؤمنون: ٩٤

(٦) المؤمنون: ٩٣، والآية (قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ).

(٧) معاني القرآن للفراء، ٢/ ٢٤١

- **مَواضِعُ الجُملةِ المُعترضَة:**

ذكر النحاة أمثلة مختلفة لمواقع الجملة المعترضة. منها[١]:

- **أولا: بين الفعل ومرفوعه.** كقولك: سَافَرَ –أُخبِرْتُ– زَيْدٌ.

أُخبِرْتُ: فعل ماض، والتاء نائب فاعل والجملة الفعلية معترضة لا محل لها من الإعراب.

- **الثاني: بين المبتدأ والخبر.** كقولك: زَيدٌ –أنا مُوقِنٌ– كَريمُ.

أنا: مبتدأ في محل رفع، موقِنٌ: خبر مرفوع، والجملة الاسمية معترضة لا محل لها من الإعراب.

وَمِنْه الاعترَاض بجملة الفِعل المُلغَى. كقولك: زَيدٌ أَظُنُّ قَائِمٌ.

أظُنُّ: فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر وجوبا، والجملة معترضة لا محل لها من الإعراب.

- **الثالث: بين ما أَصلُه المبتدأ وَالخبر.** كقَولِ ابْنِ هرْمَة:

إنَّ سُلَيْمَىَ واللهُ يَكْلَؤُهَا * ضَنَّتْ بِشَئ ما كانَ يَرْزَؤُها**[٢]

فجُملةُ (واللهُ يَكلَؤُهَا): اعتِراضِيَّةٌ دُعائيَّة بينَ اسْمِ (إنَّ) وخَبَرِهَا.

- **الرابع: بين الفعل ومفعوله.** كقولك: أكرَمْتُ –أُقْسِمُ– زَيدًا.

أُقْسِمُ: فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا، والجملة الفعلية معترضة لا محل لها من الإعراب.

- **الخامس: بين الشرط وجوابه.** كقولك: إنْ يَجْتَهِدْ طَالِبٌ –أَنَا مُوقِنٌ– يَنْجَحْ.

---

(١) مغني اللبيب، ٥٠٦– ٥٠٩، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ١١، ٣١٩، ٣٢٠، التطبيق النحوي، ٣٥٠– ٣٥٢

(٢) البيت من المَنْسَرح، وورد في: شرح التسهيل،٢/ ٣٨٧، ارتشاف الضرب، ٣/ ١٦١٦، مغني اللبيب، ٥٠٨

أنَا: مبتدأ في محل رفع، مُوقِنٌ: خبر، والجملة الاسمية معترضة لا محل لها من الإعراب.

- **السادس: بين القسم وجوابه.** كقولك: واللَّهِ –وإنَّه لَقَسَمٌ عَظِيمٌ– لَيَفْلَحَنَّ الصَّابرُون.

إنَّه: حرف توكيد ونصب، والهاء اسمها في محل نصب، لَقَسَمٌ: اللام هي اللام المزحلقة، قَسَمٌ: خبر إنَّ مرفوع، والجملة الاسمية المؤكَّدة معرتضة لا محل لها من الإعراب.

- **السابع: بين الموصوف وصفته.** كقولك: كَافأتُ طالباً –والله– مُجِداً.

جملة القسم لا محل لها من الإعراب؛ جملة معترضة.

- **الثامن: بين الموصول وصلته.** كقولك: قَابلتُ الذِي –أَظُنُّ– فَازَ بالجَائزة.

أظُنُّ: فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر وجوبا، والجملة معترضة لا محل لها من الإعراب.

- **التاسع: بين أجزاء الصلة.** كقولك: رأيتُ الذِي مَالُهُ –والكَرَمُ جَمِيلٌ– مَبذُولٌ لِلنَّاسِ.

الكَرَمُ: مبتدأ، جميل: خبر، والجملة الاسمية معترضة لا محل لها من الإعراب.

- **العاشر: بين المتضايفين.** نحو ما حكاه الكسائي: هَذَا غُلامُ –والله– زَيْدٍ. (١)

جملة القسم لا محل لها من الإعراب؛ جملة معترضة.

---

(١) ذكره ابن هشام، وابن عقيل، وناظر الجيش شاهدا على الفصل بين المتضايفين، وابن مالك لا يَعُدُّ القَسَمَ حاجزا.

مغني اللبيب٥١٢، ٩١٠، أوضح المسالك، ١٥٦/٣، شرح ابن عقيل، ٨٣/٣، المساعد على تسهيل الفوائد، ٣٠١/٢،

تمهيد القواعد، ٦/ ٣٠٦٤، شرح الكافية الشافية، ١٥٣٦/٣، شرح التسهيل، ١٩٤/٣.

- **الحادي عشر: بين الجار والمجرور.** كقولك: اشْتَرَيْتُه بأرَى أَلْفِ دِرْهَمٍ.

أَرَى: فعل مضارع والفاعل ضمير مستتر، والجملة الفعلية معترضة لا محل لها من الإعراب.

- **الثاني عشر: بين حرف التنفيس والفعل.** كقولك: سَوفَ -أُوقِنُ- يَنْجَحُ المُجِدُّ.

أُوقِنُ: فعل مضارع والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره أنا، والجملة الفعلية معترضة لا محل لها من الإعراب

- **الثالث عشر: بين قَدْ والفعل. كقولك:** قَدْ -والله- حَضَرَ زَيدُ.

جملة القسم معترضة لا محل لها من الإعراب.

- **الرابع عشر: بين حرف النفي ومنفيه.** كقولك: مَا -والله- أَفْلَحَ مُهْمِلٌ.

جملة القسم معترضة لا محل لها من الإعراب.

والله -تعالى- أعلى وأعلم

الفصل الأول: المبحث الأول: لماذا كانت الدراسة في التحرير والتنوير؟

- **أولا:** يُعَدُّ تفسير التحرير والتنوير من أعظم مؤلفات الطاهر بن عاشور، وأدلّها على مكانته

العلمية المرموقة، وعلو قدره، وسعة اطلاعه؛ فهو كتاب جامع لعلوم مختلفة، كعلم الكيمياء، والتاريخ، وعلوم العربية من: نحو، ولغة، وبلاغة وغيرها، كما يهتم بإبراز المعنى اللغوي والبلاغي للآية. وقد شرع صاحبه في تأليفه في سنِّ الخامسة والأربعين من عمره، وفرغ منه بعد بلوغه الرابعة والثمانين، ولكنَّ هذا لا يعني ضعفَ ذاكرته، وتشتّت أفكاره، بل إنَّ تفسيره نسيجٌ مترابطُ الأجزاء، تميَّز عن غيره بشموله وغزارة علمه.

يقول الشيخ ممتدحا كتابه:" فَفِيهِ أَحْسَنُ مَا فِي التَّفَاسِيرِ، وَفِيهِ أَحْسَنُ مِمَّا فِي التَّفَاسِيرِ "(١)

- **ثانيا:** قدَّم الشيخُ لتفسيره تمهيدا وافيا ذكر فِيهِ مُرَادَه من هَذَا التَّفْسِير قائلا: "فَجَعَلْتُ حَقًّا عَلَيَّ

أَنْ أُبْدِيَ فِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ نُكَتًا لَمْ أَرَ مَنْ سَبَقَنِي إِلَيْهَا، وَأَنْ أَقِفَ مَوْقِفَ الْحَكَمِ بَيْنَ طَوَائِفِ الْمُفَسِّرِينَ تَارَةً لَهَا وَآوِنَةً عَلَيْهَا، فَإِنَّ الِاقْتِصَارَ عَلَى الْحَدِيثِ الْمُعَادِ، تَعْطِيلٌ لِفَيْضِ الْقُرْآن الَّذِي مَاله مِنْ نَفَادٍ. وَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّاسَ حَوْلَ كَلَامِ الْأَقْدَمِينَ أَحَدَ رَجُلَيْنِ: رَجُلٌ معتكفٌ فِيمَا أشاده الْأَقْدَمُونَ، وَآخَرُ آخِذٌ بِمِعْوَلِهِ فِي هَدْمِ مَا مَضَتْ عَلَيْهِ الْقُرُونُ، وَفِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ ضرّ كثير، وَهنالك حَالَةٌ أُخْرَى يَنْجَبِرُ بِهَا الجَنَاحُ الكَسِيرُ، وَهِيَ أَنْ نَعْمِدَ إِلَى مَا شاده الْأَقْدَمُونَ فَنُهَذِّبَهُ وَنَزِيدَهُ، وَحَاشَا أَنْ نَنْقُضَهُ أَوْ نُبِيدَهُ". (٢)

(١) التحرير والتنوير،١/ ٨

(٢) المرجع السابق،١/ ٧

ففي قول الشيخ السابق ما يشير إلى منهجه في الكتاب مِنْ عرضٍ لآراء المفسّرين السابقين لا جمعاً وحشداً إنما دراسة وتحقيقا ونقدا؛ لأنه يرى أنَّ الاقتصار على الحديث المُعاد تعطيلٌ لفيض القرآن الذي مَاله مِن نفاد. مما لفت إليه الأنظار، فتوجه إليه الباحثون بالبحث والدراسة.

- **ثالثا:** اعتمد الشيخ في تفسيره على العديد من المصادر القديمة التي استخلص منها أهمَّ ما

فيها فقال:"... وَإِنَّ أَهَمَّ التَّفَاسِيرِ تَفْسِير «الكَشَّاف» و«المُحَرر الوَجِيزُ» و«مَفَاتِيح الْغَيْبِ»، و«تَفْسِير الْبَيْضَاوِيّ» الْمُلَخَّصُ مِنَ «الْكَشَّافِ» وَمِنْ «مَفَاتِيحِ الْغَيْبِ» بتحقيق بديع، و«تَفْسِير الشِّهَابِ الآلوسي»، وَمَا كَتَبَهُ الطِّيبِيُّ عَلَى «الْكَشَّافِ»، وَمَا كَتَبَهُ الْخَفَاجِيُّ عَلَى «تَفْسِير الْبَيْضَاوِيّ»، و«تَفْسِيرِ أبي السُّعُود»، و«تَفْسِير الْقُرْطُبِيّ» وَالْمَوْجُودُ مِنْ «تَفْسِيرِ ابْنِ عَرَفَةَ التُّونُسِيّ»، و« تَفْسِيرُ ابْن جَرِيرٍ الطَّبَرِيّ»، وَكِتَابُ «دُرَّةِ التَّنْزِيلِ» الْمَنْسُوبُ لِلفَخْرِ الرَّازِيّ، وَلِقَصْدِ الِاخْتِصَارِ أُعْرِضُ عَنِ الْعَزْوِ إِلَيْهَا،" [١]

فَكَأَنَّهَا مراجعه الأساسية التي اعتمد عليها ونقل منها، ولكنَّ هذا لا يعني أنَّه حَصَرَ جميع التَّفاسير

التي استعان بها في تفسيره، إنما اكتفى بذكر الأهمّ منها وترك البقيَّة للقارئ. إذ يمكنه أن يقف عندها في مواضعها بسهولة ويسر. مثل: شرح الكشاف للجرجاني، وتفسير البغوي.[٢]

ولهذه الأمور كانت الدراسة في التحرير والتنوير.

(١) التحرير والتنوير،١/ ٧

(٢) التحرير والتنوير، ١/ ٥٢، ١٣٥، ٤٩٦.

المبحث الثاني: مَنْهَجُ الطاهر بن عاشور في الجملة الاعتراضية في سورة آل عمران

إنَّ المُتأمّلَ لِمنهج الطاهر بن عاشور في عَرْضِ الجُملةِ الاعتراضِيَّةِ فِي سورَةِ آلِ عِمران يستطيعُ أنْ يُدرك أنَّ الشيخ –رحمه الله– تعَدَّدَت طُرقُهُ وتَنَوَّعت في عَرْضِها، واتَّخذَت العَديدَ مِن النَّماذج والأشكال.

جاءت على النحو التالي:

- **الأوَّل: لم يذكر الشيخ مصطلح "الجملة الاعتراضية" صراحة في السُّورة بل عَبَّر عَنها بمُصطلحَين مُرَادفين. هما: "جُملة مُعْتَرِضَة"، و"اعتِراض".**

ففي قوله–تعالى–﴿فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى وَإِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُها بِكَ وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ﴾ (١)

يَقولُ الشيخ:" وَقَوْلُهُ: (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ) جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ".(٢)

وفي قوله–تعالى–﴿قُلْ أَأُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَأَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ﴾ (٣)

يقول الشَّيخُ:" وَجُمْلَةُ (وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالعِبادِ) اعْتِرَاضٌ".(٤)

---

(١) آل عمران: ٣٦

(٢) التحرير والتنوير، ٣/ ٢٣٣

(٣) آل عمران: ١٥

(٤) التحرير والتنوير، ٣/ ١٨٤

- **الثَّاني: بيان ما اشتملت عليه جملة الاعتراض مِنْ دَقائقَ وأسْرار ومعانٍ لُغوية ومَلامِحَ دَلاليّة.**

وهي السِّمَةُ الغالبةُ عَليه. وسوف توضّحه الدراسة بالتفصيل في الفصل الثاني من البحث.

- **الثالث: بيان الوجه الإعرابي الآخر للجملة الاعتراضية إن كان لها عنده وجه ثان.**

ففي قوله –تعالى–﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾(١)

يقول الشيخ:" جِيءَ بِالِاسْمِ العَلَمِ: لِتَرْبِيَةِ المَهَابَةِ عِنْدَ سَمَاعِهِ، ثُمَّ أَرْدَفَ بِجُمْلَةِ (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)، جُمْلَةً مُعْتَرِضَةً أَوْ حَالِيَّةً".(٢)

- **الرَّابع: ذكر القراءات القرآنية في الجملة الاعتراضية.**

ففي قوله –تعالى–﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا ...هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ...وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٣)

يَقُولَ الشَّيخُ:" وَجُمْلَةُ (قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ) ...وَالجُمْلَةُ مُعْتَرِضَةٌ. وَقَرَأَ الجُمْهُورُ:(كُلَّهُ) بِالنَّصْبِ تَأْكِيدًا لِاسْمِ (إِنَّ)، وَقَرَأَهُ أَبُو عَمْرٍو، وَيَعْقُوبُ بِالرَّفْعِ عَلَى نِيَّةِ الِابْتِدَاءِ. وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ (إِنَّ)."(٤)

(١) آل عمران: ٢

(٢) التحرير والتنوير، ٣/ ١٤٧

(٣) آل عمران: ١٥٤

(٤) التحرير والتنوير، ٤/ ١٣٧

- **الخَامس: ذكر الغرض الذي سِيقَت مِن أجلِهِ جملة الاعتراض.**

ففي قوله–تعالى–﴿لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خائِبِينَ، لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ﴾ (١)

يقولُ الشيخُ: " (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) مُعْترضَةٌ، وَوُضِعَتْ هَذِهِ الجُمْلَةُ بَيْنَ المُتَعَاطِفَاتِ لِيَظْهَرَ أَنَّ المُرَادَ من الْأَمر هُوَ الْأَمْرِ الدَّائِرِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْأَرْبَعَةِ مِنْ أَحْوَالِ المُشْرِكِينَ، أَيْ لَيْسَ لَكَ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْأَرْبَعَةِ شَيْءٌ وَلَكِنَّهُ مَوْكُولٌ إِلَى اللَّهِ، هُوَ أَعْلَمُ بِمَا سَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ".(٢)

- **السَّادس: بيان الأحكام النحوية في الجملة الاعتراضية.**

ففي قوله–تعالى–﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ

افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٣)

يقول الشيخ:" (فَلَنْ يُقْبَلَ) الفَاءُ مُؤْذِنَةٌ بِمُعَامَلَةِ الْمَوْصُولِ مُعَامَلَةَ اسْمِ الشَّرْطِ؛ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ الصِّلَةَ هِيَ عِلَّةُ عَدَمِ قَبُولِ التَّوْبَةِ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَقْتَرِنْ خَبَرُ الْمَوْصُولِ بِالْفَاءِ فِي الْجُمْلَةِ الَّتِي قَبْلَهَا وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ جُمْلَةُ (فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ إِلَى آخِرِهَا) مُعْتَرِضَةً بَيْنَ اسْمِ (إِنَّ) وَخَبَرِهَا مُقْتَرِنَةً بِالْفَاءِ". (٤)

(١) آل عمران: ١٢٧، ١٢٨

(٢) التحرير والتنوير، ٤/ ٨٠

(٣) آل عمران: ٩١

(٤) التحرير والتنوير، ٣/ ٣٠٦

- **السَّابع: الاعتراض بأكثر من جملة.**

ففي قوله–تعالى–﴿ وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾(١)

يقول الشيخ:" (وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتاباً مُؤَجَّلًا) جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ، وَالوَاو اعتراضية، (وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) عَطْفٌ عَلَى الْجُمْلَةِ الْمُعْتَرِضَةِ".(٢)

- **الثَّامن: الاستشهاد بأقوال المُفَسِّرين في تحديد موضع الاعتراض، مع عَزْوِ الأقوالِ إلى أصْحَابِهَا.**

ففي قوله–تعالى–﴿وَلا تُؤْمِنُوا إِلاّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣)

يقولُ الشيخُ:" وَذَكَرَ ابْنُ عَطِيَّةَ وُجُوهًا ثَمَانِيَةً...الأول: أَنَّهَا تكملة لِمُحَاوَرَةِ الطَّائِفَةِ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَأَنَّ جُمْلَةَ (قُلْ إِنَّ الهُدى هُدَى اللَّهِ) مُعْتَرِضَةٌ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ الحِوَارِ".(٤)

---

(١) آل عمران: ١٤٥

(٢) التحرير والتنوير، ٤/ ١١٥

(٣) آل عمران: ٧٣

(٤) التحرير والتنوير، ٣/ ٢٨١، المحرر الوجيز، ١/ ٤٥٤–٤٥٦

الفصل الثَّانِي: دَلالاتُ الجُملَةِ الاعْتِرَاضِيَّةِ في سُورَةِ آلِ عِمرَان عِنْدَ الطاهر بن عاشور

- **المَوضِعُ الأوَّلُ: قال–تعالى–﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[١]**

الجملة الاعتراضية:

قوله–تعالى–(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ): (لا) نافية للجنس تعمل عمل (إنَّ)، و(إله) اسمها مبنيّ على الفتح

في مَحلّ نصب، وخبر(لا) محذوف وجوبا تقديره: كائن أو موجود، و(إلّا) أداة استثناء، و(هو) ضمير منفصل مبني على الفتح في محلّ رفع بدل من الضمير المستتر في خبر لفظ الجلالة أو بدل مِنْ مَحلّ (لا مع اسمها) ومحلّه الرفع؛ لأن موضع (لا) وما عملت فيه رفع بالابتداء، والجملة في محلّ رفع خبر للمبتدأ لفظ الجلالة[٢]، واعتِرَاضِيَّةٌ عندَ الطاهر بن عاشور.[٣]

الدراسة:

تمثِّلُ الآيةُ رَدّاً عَلَى النَّصَارَى؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ بِعِبَادَةِ عِيسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ– فَبَيَّنَ اللَّهُ –تَعَالَى– أَنَّهُ وَحْدَه مَنْ يَسْتَحِقُّ العِبَادَةَ؛ فـ(الحَيُّ): هُوَ المُتَّصِفُ بالحَيَاةِ التي لا بِدْءَ ولا فَنَاءَ لَهَا، و(القَيُّومُ): هُوَ الدَّائمُ القِيَام بتَدبيرِ أَمْرِ الخَلْقِ وحِفْظِهم، والمُعْطِي لَهُم مَا بهِ قِوامُ حَيَاتِهم. وثَبَتَ أَنَّ عِيسَى مَا كَانَ حَيًّا قَيُّومًا؛ لِأَنَّهُ وُلِدَ، وَكَانَ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيُحْدِثُ، وَالنَّصَارَى زَعَمُوا أَنَّهُ قُتِلَ وَمَا قَدَرَ عَلَى

---

(١) آل عمران: ٢

(٢) فتح القدير، ١/ ٣٥٨، تفسير أبي السعود،٢/٢، اللباب في علوم الكتاب،٤/٥، الدر المصون، ٦/٣، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل،١/ ٣٥٢، مشكل إعراب القرآن،١/ ١٤٨، إعراب القرآن للنحاس،١٢٥/١، المجتبى من مشكل إعراب القرآن، ١/ ١٠٨، إعراب القرآن للدعاس، ١/ ١٠٨، الجدول في إعراب القرآن، ٣/ ١٠٥، ١٠٦، إعراب القرآن وبيانه، ١/ ٤٥٤

(٣) التحرير والتنوير، ٣/ ١٤٧

دَفْعِ القَتْلِ عَنْ نَفْسِهِ، فَثَبَتَ أَنَّهُ مَا كَانَ حَيًّا قَيُّومًا، وَذَلِكَ يَقْتَضِي القَطْعَ وَالجَزْمَ بِأَنَّهُ مَا كَانَ إِلَهًا، فَهَذِهِ الكَلِمَةُ وَهِيَ قَوْلُهُ (الحَيُّ الْقَيُّومُ) جَامِعَةٌ لِجَمِيعِ وُجُوهِ الدَّلَائِلِ عَلَى بُطْلَانِ قَوْلِ النَّصَارَى فِي التَّثْلِيثِ. (١)

وأجْمَعَ المُعْرِبُون والمُفَسِّرون–فيمَا اطَّلعْتُ عَلَيه– عَلَى أنَّ الجُمْلَةَ الكَرِيْمَةَ:(لَا إِلَهَ إِلَاّ هُوَ) خَبَرٌ لِلَفْظِ الجَلَالَةِ، وجَاءَ نَمَطُ إعرَابِهِم لَهَا عَلَى ثَلاثِ صُوَرٍ:

- الأوَّلَى: الاكْتِفَاءُ بِإعْرَابِهَا خَبَراً لِلَفْظِ الجَلَالَةِ فِي آيَةِ الكُرْسِيّ، وتَرْكُ إعْرَابِهَا فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَان.

  وعَلَيْهَا: الفخرُ الرَّازي(٢)، والبيضاويّ.(٣)
- الثَّانِيَةُ: إعْرَابُهَا خَبَراً لِلَفْظِ الجَلَالَةِ فِي آيَةِ الكُرْسِيّ، والإحَالَةُ عَلَيهَا عِنْدَ إعْرَابِهَا فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَان.

  وعَلَيْهَا: أبو البقاء العكبري(٤)، والمنتجب الهمذانيّ.(٥)
- الثَّالِثَةُ: إعْرَابُهَا فِي المَوضِعَين مَعَاً (آيَةِ الكُرْسِيّ وسُورَةِ آلِ عِمْرَان) خَبَراً لِلَفْظِ الجَلَالَةِ.

  وعَلَيهَا: ابنُ النَّحَّاس(٦)، والشوكانيّ(٧)، وغيرُهُما مِن المُحْدَثِين.(٨)

---

(١) مفاتيح الغيب، ١٢٩/٧، التفسير الوسيط، ١٨/٢، ١٩

(٢) المرجع السابق، ٧/ ٨

(٣) تفسير البيضاوي، ١/ ١٥٣

(٤) التبيان في إعراب القرآن، ١/ ٢٠٢

(٥) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، ١/ ٥٥٧

(٦) إعراب القرآن للنحاس، ١٢٥/١

(٧) فتح القدير، ١/ ٣٥٨

(٨) إعراب القرآن للدعاس، ١/ ١٠٨، المجتبى من مشكل إعراب القرآن، ١/ ١٠٨، إعراب القرآن وبيانه، ١/ ٤٥٤، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، ١/ ٣٥٢، الجدول في إعراب القرآن، ٣/ ١٠٥، ١٠٦

أمَّا الطاهرُ بن عاشور فَلَمْ يَرُقْ لَهُ هَذَا الإعْرَابَ، وذَهَبَ إلَى أنَّ الجُمْلَةَ الكَرِيمَةَ (لَا إِلَهَ إِلَاّ هُوَ)

فِي هَذَا المَوضِعِ[١] يَجُوزُ فِيهَا وَجْهَان إعْرَابِيَّان:

- **الأَوَّلُ:** أنْ تَكونَ اعْتِراضِيَّةً بَيْنَ المُبْتَدأ وهو قَولُهُ: (الله) في هَذِهِ الآيةَ وخَبَرُهُ في الآيةِ التالِيَةِ وهُوَ قَولُهُ: (نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتابَ بِالحَقِّ) [٢].

وعلَيهِ فيكونُ الغرضُ من الاعتِراضِ هُوَ التَّوكيدُ على بُطلَانِ قَولِ النَّصَارَى بِعِبَادَةِ عِيسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنَّهُ مَا كَانَ حَيًّا قَيُّومًا؛ وأنَّ اللهُ وحدَهُ هُوَ مَنْ يَستحِقُّ العِبَادةَ؛ لأنَّهُ هُوَ الحَيُّ القَيُّوم.

- **الثَّانِي:** أنْ تَكونَ حَالِيَّة. وفِي صَاحِبِهَا احْتِمَالان:

– أَحَدُهُمَا: أنْ يَكُونَ لَفْظَ الجَلالَةِ.

– الثَّانِي: أنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ المُسْتَتِرُ في قَولِهِ: (نَزَّلَ) تقديره: نَزَّلَ عَلَيكَ الكِتَابَ مُتَوَحِّداً بالرُّبُوبيَّةِ.

وإلَى جوَازِ الوَجْهَينِ ذَهَب مَكِيّ[٣]، والسمينُ الحلبيّ[٤]، وابنُ عادل الحنبليّ[٥]، وأبو السعود.[٦]

وقَدْ أجَازوا وُجُوهَاً إعْرَابيَّةً أخْرَى أجْمَلَهَا السَّمينُ الحَلبيُّ بِقولِه:" قوله تعالى: (لَا إِلَهَ إِلَاّ هُوَ) يجوزُ أَنْ تكُونَ هَذِهِ الجُمْلَةُ خَبَرَ الجَلالَةِ و(نَزَّلَ عَلَيكَ) خبرٌ

(١) ذهب الشيخ إلى أنَّ قوله –تعالى–(لا إلهَ إلا هُوَ) فِي آيةِ الكرسيّ: خبرٌ أولُ للفظِ الجلَالةِ. التحرير والتنوير،١٧/٣

(٢) آل عمران: ٣

(٣) مشكل إعراب القرآن، ١/ ١٤٨

(٤) الدر المصون، ٣/ ٦

(٥) اللباب في علوم الكتاب، ٤/٥

(٦) تفسير أبي السعود، ٢/٢

آخرُ، ويَجُوزُ أنْ تَكُونَ (لَا إلَـهَ إلَاّ هُوَ) مُعْتَرِضَـةً بَينَ المُبتدَأ وخَبَرِه، ويَجُوزُ أنْ تَكُونَ حَـالاً. وفِـي صَـاحِبِهَا احتِمَـالان، أحَدُهُمَا: أنْ يَكُـونَ الجَلالـة، والثـاني: أنْ يَكـونَ الضَّـميرَ فـي (نَـزَّل) تَقْديرُه: نَـزَّلَ عَلـيكُم الكِتَـابَ مُتوحِّـداً بالرُّبوبيَّـة. وأوَّلُ الأقْوالِ أَوْلاهَا".[١]

ثُمَّ شَرَعَ الطاهر بن عاشور فِي بَيَانِ مَا حَوتْهُ دَقَائِقُ الجُملَةِ السَّامِيَةِ فِي جَمَالِ السَّبْكِ وفَصَاحَةِ النَّظْمِ ولُطْفِ الدَّلَالَةِ عَلَى النَّحوِ التَّالي:

- ذَكَر الشَّيخُ أنَّ الغَرَضَ الدَّلَالِيَّ وَرَاءَ الابْتِدَاءِ بِلَفظِ الجَلَالَةِ فِي الآيةِ يَكْمُنْ فِي أمْرَين:
  - **الأوَّلُ:** تَرْبِيَةِ المَهَابَةِ عِنْدَ سَمَاعِهِ.
  - **الثَّاني:** أَنَّهُ طَرِيقٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى المُسَمَّى المُنْفَرِدِ بِهَذَا الِاسْمِ، فَإِنَّ العَلَمَ أَعْرَفُ المَعَارِفِ.
- بيَّنَ الشَّيخُ الغَرَضَ الدَّلَالِيَّ وَرَاءَ سِيَاقِ اسْمَيّ (الحَيُّ القَيُّومُ) فـي الآيَـةِ الكريمَـةِ دون غيرِهمَا مِن أسْماءِ اللهِ الحُسنى، بأنَّهُمَا وَصْفَان لِنَفْيِ اللَّبْسِ عَنْ مُسَمَّى لَفْظِ الجَلَالَـة، وفِـي ذِكْرِهِمَا إشَـارةٌ إلَـى انْفِرادِه –تَعَالَى– بالألوهيَّـةِ دونَ غَيـرِهِ؛ وأنَّ غَيرَهُ لا يَسْتَحِقُّهَا؛ لِأَنَّـهُ غَيْرُ حَـيٍّ أَوْ غَيْرُ قَيُّومٍ، فَالأَصْنَامُ لَا حَيَاةَ لَهَا، وَعِيسَى فِي اعْتِقَادِ النَّصَارَى قَدْ أُمِيتَ، فَمَا هُوَ الآنَ بِقَيُّومٍ وَلَا هُوَ فِي حَالِ حَيَاتِهِ بِقَيُّومٍ عَلَى تَدْبِيرِ العَالَمِ، وَكَيْفَ وَقَدْ أُوذِيَ فِي اللَّهِ، وَكُذِّبَ، وَاخْتَفَى مِنْ أَعْدَائِهِ.

يقول الشَّيْخُ: "جِيءَ بِاسْمِ الذَّاتِ هُنَا لِأَنَّهُ طَرِيقٍ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمُسَمَّى الْمُنْفَرِدِ بِهَذَا الِاسْمِ، فَإِنَّ الْعَلَمَ أَعْرَفُ الْمَعَارِفِ"[٢]

(١) الدر المصون، ٣/ ٦

(٢) التحرير والتنوير، ٣/ ١٧

ويقولُ فِي مَوضِعٍ آخر:" جِيءَ بِالِاسْمِ العَلَمِ: لِتَرْبِيَةِ المَهَابَةِ عِنْدَ سَمَاعِهِ، ثُمَّ أَرْدَفَ بِجُمْلَةِ (لَا إِلهَ إِلَّا هُوَ)، جُمْلَةً مُعْتَرِضَةً أَوْ حَالِيَّةً، رَدًّا عَلَى المُشْرِكِينَ، وَعَلَى النَّصَارَى خَاصَّةً".(١)

ويَرَى البَحثُ أنَّ الطاهرَ بن عاشور فِي نَصِّ قَولِهِ الأوَّل قَدْ صَرَّحَ بأنَّ العَلَمَ هَوَ أعرَفُ المَعَارِفِ.

وأعرَفُ المَعَارِفِ مِسْأَلَةٌ خَلافِيَّةٌ بَينَ النَّحويين انْقَسَمُوا فِيهَا عَلَى أَرْبَعَةِ آراءَ:

- **الأَوَّلُ:** أعْرَفُ المَعَارِفِ المُضْمَرُ. ونُسِبَ إلَى سيبويه والجُمْهُور. ومِمَّنْ نَسَبَهُ إلَيهِ:

أبو البركات الأنباريّ(٢)، وابنُ الأثير(٣)، والعكبريّ(٤)، وابنُ يعيش(٥)، وأبو حيان(٦)، والسيوطيّ(٧) ونُسِبَ لِسيبَويه –أيضا– أنَّ العَلَمَ عِنْدَه أعْرَفُ المَعَارِفِ(٨).

ولَمْ يَقِف البَحْثُ عَلَي نَصٍّ لسيبَويه فِي هَذه المَسْأَلَةِ. وغَايَةُ مَا وَقَفَ علَيهِ البحْثُ هُو عَددُ المَعَارِفِ عِنْدَه. حِيْثُ قَال: "فالمَعْرِفَةُ خَمْسَةُ أَشْيَاءٍ: الأسْمَاءُ التِي

(١) المرجع السابق، ٣/ ١٤٧
(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف، ٢/ ٥٨١، أسرار العربية، ٢٤٤
(٣) البديع في علم العربية، ١/ ٣١٦
(٤) اللباب في علل البناء والإعراب، ١/ ٤٩٤
(٥) شرح المفصل، ٢/ ٣٥٠
(٦) التذييل والتكميل، ١١٢/٢
(٧) همع الهوامع، ١/ ٢٢٠
(٨) ارتشاف الضرب، ٢/ ٩٠٨

هِيَ أعْلامٌ خَاصّة، والمُضَافُ إلَى المَعْرِفَةِ إذا لَمْ تُرِدْ مَعْنَى التَّنْوينِ، والألفُ واللامُ والأسْمَاءُ المُبْهَمَةُ والإضْمَارُ".[١]

وَلَو أخَذَ البَحْثُ بتَرتيبِهَا عِنْدَهُ كَمَا أورَدَهَا لَصَارَ الَعَلَمُ أعرفَ المَعَارفِ عِنْدَهُ، إلَّا أنَّ المَشْهُورَ عَنْهُ أنَّ المُضمَرَ أعْرَفُهَا جَمِيعَاً كما ذكَرَ ابنُ يعيش.[٢]

- **الثَّانِي:** أعْرَفُها العَلَمُ، وعَلَيهِ أبو حَيَّان. حيثُ يَقُول: " والذِي أخْتَارُهُ وأذْهَبُ إليهِ، هُوَ أنَّ أعْرَفَ المَعَارفِ هُوَ العَلَمُ ثُمَّ المُضْمَرُ".[٣]

ونَسَبَهُ أبو البركات الأنباريّ إلَى البَصرِيين[٤]، ونَسَبَهُ العُكبريّ إلَى الكُوفيين[٥]، ونَسَبَه أبو حَيَّان إلَى الصَّيمَريّ بقَولِهِ:" ومِنْهُم مَنْ ذَهَبَ إلَى أنَّ العَلَمَ العَلَمَ أعْرَفُهَا، وهُوَ قَولُ الصَّيمَريّ وعُزيَ إلَى الكَوفيين".[٦]

ولَمْ يَقِف البَحْثُ عَلَى هَذا الرَأي للصَّيمَريّ في تَبصِرَتِهِ، ولَمْ يَقُلْ بِذَلِكَ تَصْريحَاً أو تَلْمِيحَاً، إنَّمَا كَانَ رأيُهُ الصَّريحُ فِي المَسْألَةِ أنَّ المُضْمَرَ هُوَ أعْرَفُ المَعَارفِ.

يقُولُ الصَّيمَريُّ:"...فلَمَّا كَانَ المُضْمَرُ أخَصَّ الأسْمَاءِ وأعْرَفَهَا لَمْ يَجُزْ أنْ يَكُونَ تَابعَاً لِمَا هُوَ أنْقَصُ مِنْهُ فِي التَّعْرِيفِ، والاسْمُ العَلَمُ بَعْدَ المُضْمَرِ".[٧]

- **الثَّالِثُ:** أعْرَفُهَا المُبْهَمُ ثُمَّ المُضْمَرُ ثُمَّ العَلَمُ. ونُسِبَ إلَى ابْنِ السَّرَّاج.

---

(١) الكتاب، ٢/ ٥

(٢) شرح المفصل، ٢/ ٢٤٧

(٣) التذييل والتكميل، ٢/ ١١٣، ١١٤

(٤) الإنصاف في مسائل الخلاف، ٢/ ٥٨١

(٥) اللباب في علل البناء والإعراب، ١/ ٤٩٤

(٦) التذييل والتكميل، ٢/ ١١٢، ١١٣

(٧) التبصرة والتذكرة، ٣٢/١، ٣٣

ومِمَّنْ نَسَبَهُ إليهِ: أبو البركات الأنباري[١]، والعكبري[٢]، وابن يعيش.[٣] ولَمْ يَقِف البَحْثُ عَلَي نَصٍّ لابْنِ السَّرَّاج يَدُلُّ عَلَى أنَّ المُبْهَمَ–اسْم الإشارَةِ–هُوَ أعْرَفُ المَعَارِفِ.

وَلَو أخَذَ البَحْثُ بتَرتيبِهَا عِنْدَهُ كَمَا أورَدَهَا لَصَارَ الضَّميرُ أعرفَ المَعَارفِ عِنْدَهُ؛ لِقَولِهِ:" المَعْرِفَةُ خَمْسَةُ أشْيَاء: الاسْمُ المُكَنَّي[٤]، والمُبْهَمُ، والعَلَمُ، ومَا فِيهِ الألِفُ واللامُ، ومَا أُضِيفَ إليهِنَّ".[٥]

وقَدْ ذَكَرَ ابْنُ السَّرَّاج العَلَمَ قَبْلَ اسمْ الإشَارَةِ فِي مَوضِعٍ آخَرَ مِن كِتَابِهِ قائِلاً:" الأسْمَاءُ المَعَارفُ خَمْسَةٌ، العَلَمُ الخَاصُ والمُضَافُ إلَى المَعَرفَةِ، والألفُ واللامُ، والأسْمَاءُ المُبْهَمَةُ والإضْمَارُ".[٦]

- **الرَّابِعُ:** أعْرَفُهَا المَعَرَّفُ بالألِفِ واللامِ. ذَكَرَهُ أبو حَيَّان، والسُّيوطِيّ، ولم ينسباه لأَحَدٍ.

يقولُ أبو حيَّان:" ومِنْهُم مَنْ ذَهَبَ إلَى أنَّ المَعَرَّفَ بأل أعْرَفُهَا".[٧]

وقولُ السيوطي:" وَقِيلَ أعرَفُهَا...وَقيلَ ذُو أل لِأَنَّهُ وَضِعَ لِتَعريفِهِ أَدَاةٌ وَغَيرُه لَمْ تُوضَعْ لَهُ أَدَاة".[٨]

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف، ٢/ ٥٨١، أسرار العربية، ٢٤٤

(٢) اللباب في علل البناء والإعراب، ١/ ٤٩٤

(٣) شرح المفصل، ٢/ ٢٤٧

(٤) الاسم المُكَنَّى: مصطلحٌ كوفيّ يعني: الضمير عِند البصريين. مدرسة الكوفة ومنهجها في في دراسة اللغة والنحو، ٣١٤

(٥) الأصول في النحو، ١/ ٤١٩

(٦) المرجع السابق، ٢/ ٣٢

(٧) التذييل والتكميل، ٢، ١١٣، ارتشاف الضرب، ٢/ ٩٠٨

(٨) همع الهوامع، ١/ ٢٢١

وبَعْدَ هذَا العَرضِ المُوجَز لِخِلافِ النَّحويين حَولَ أعرَفِ المَعَارِفِ، يرَى البَحثُ أنَّ الطاهر بن عاشور مَؤيّدٌ للرأي الثاني، الذي يَرَى أنَّ العَلَمَ هُوَ أعرفُ المَعارف. **والله-تعالى-أعلى وأعلم**

- **المَوضِعُ الثَّانِي: قال-تعالى-﴿قُلْ أَأُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَأَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ﴾** [١]

الجملة الاعتراضية:

قولـه-تعـالى-(وَاللَّهُ بَصِـيرٌ بالعِبَـاد): لفـظ الجلالـة مبتـدأ و(بصـير)خبـر، و(بِالعِبادِ) متعلقان ببصير[٢]، والجملةُ استئنافية[٣]، واعتِراضيَّةٌ عند الطاهر بن عاشور.[٤]

الدراسة:

في الآية تسلية عن الدنيا ومتاعها وتقوية لنفوس تاركيها، نبه الله فيها على نعمه؛ فأدناها متاع الحياة الدنيا، وأعلاها رضوان الله؛ لقوله-تعالى-(وَرِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ)[٥]، وأوسطها الجنة ونعيمها.[٦]

وذهب المعربون-فيما اطلعت عليه-إلى أنَّ الجُمِلَةَ السَّامِيَةَ (وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ) استئنافية. [٧]

---

(١) آل عمران: ١٥

(٢) إعراب القرآن للدعاس، ٤٩٧/١

(٣) إعراب القرآن وبيانه، ٤٧٠/١، الجدول في إعراب القرآن، ٣/ ١٣٥

(٤) التحرير والتنوير، ٣/ ١٨٤

(٥) التوبة: ٧٢

(٦) تفسير البيضاوي، ٢/ ٨

(٧) إعراب القرآن وبيانه، ٤٧٠/١، الجدول في إعراب القرآن، ٣/ ١٣٥

أمَّا الشيخ الطاهر بن عاشور فَلَهُ رأيٌ آخرَ؛ حيثُ ذَهَبَ إلَى أنَّهَا جُمْلَةٌ اعتراضيَّةٌ وَقَعَت في نِهَايَةِ الآيَةِ بين قوله: (لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَأَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ) وقوله: (ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ)[1] في بداية الآية التالية.

ثمَّ شَرَعَ في عَرْضِ دَلالاتِ الاسْتِعْمالاتِ القُرْآنِيَّةِ فِي الجُملَةِ الكَريمَةِ ومَا فيهِمَا مِنْ دقَائقَ وأسْرار جاءَت عَلَى النَّحو التَّالي:

- ذَكَرَ الشيخُ أنَّ لَفْظَ الجَلالة جَاءَ فِي أوَّلِ الجُملَةِ الاعْتِرَاضِيّة اسماً ظاهِراً ليدلَّ على قَصْدِ استقلال هذه الجملة لتكون مثلاً.
- بيَّنَ الشيخُ أنَّ الغَرض الدَّلاليّ مِن انْتِهاءِ الآيةِ بهذهِ الجُمْلَةِ الاعتراضيَّة هو: بيانُ الوَعدِ. أي: أنَّ الله –تعالى–عليمٌ بالذين اتَّقوا وبمَرَاتِبِ تَقْوَاهم، فهو يجازيهم.

يقول الشيخ:" وَجُمْلَةُ (وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالعِبادِ) اعْتِرَاضٌ لِبَيَانِ الوَعْدِ أَيْ أَنَّهُ عَلِيمٌ بِالَّذِينَ اتَّقَوْا وَمَرَاتِبِ تَقْوَاهُمْ، فَهُوَ يُجَازِيهِمْ، وَلِتَضَمُّنِ بَصِيرٌ مَعْنَى عَلِيمٍ عُدِّيَ بِالبَاءِ. وَإِظْهَارُ اسْمِ الجَلَالَةِ فِي قَوْلِهِ: وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ لِقَصْدِ اسْتِقْلَالِ الْجُمْلَةِ لِتَكُونَ كَالْمَثَلِ".[2]

ويَرَى البَحْثُ أنَّ الشَّيخَ فِي هَذَا المَوضِع مِن سُورةِ آلِ عِمران قَد أجَازَ وقوعَ الجُملةِ الاعْتراضِيَّة في نِهَايةِ الكَلام.

(١) آل عمران: ١٦. ويجوز في اسم الموصول (الَّذِينَ يَقُولُونَ): الرفعُ على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي: هُم الذين، والنصبُ على المدح بفعل محذوف أي: أمدح الذين، والجرّ على أنه بدل من اسم الموصول في الآية السابقة أو نعت له.

إعراب القرآن وبيانه، ٤٧٣/١

(٢) التحرير والتنوير، ٣/ ١٨٤

وقَد انْقَسَمَ المُفسّرون والنُّحاةُ حَول مَوضِعِ الجُمْلَةِ الاعْتِراضِيَّةِ عَلى قِسْمَين:

- **الأوَّلُ:** اشْتَرَطَوا أنْ يَكونَ مَوقِعُهَا بَيْنَ كَلامَين مُتَّصِلَين.

يَقُولُ نَاظِرُ الجَيش:" وأمَّا الاعْتِرَاضِيَّةُ: فَهِي الوَاقِعَةُ بَينَ مُتلازمَين، أو كَالمُتَلازمين لتُفيدَ تَقْويةً أي: لِلكلَامِ التِي اعْتَرَضَت بَينَ أجْزَائِهِ".(١)

ومِمّن اشْتَرَطَ هَذَا الشَّرطَ: أبو حيان(٢)، وابن هشام(٣)، والسيوطي(٤)، ومحمد عبدالعزيز النجار(٥)

- **الثَّانِي:** لا يَشتَرطُون ذلك، ويُجِيزونَ أنْ تَقَعَ الجُملةُ الاعْتِراضِيَّةُ فِي ذَيلِ الكَلام.

يقولُ الرَّضيّ:"... وكَذَلِكَ قَولُهُ:" أُطْلُبُوا العِلْمَ ولَو بالصِّين"(٦)، والظَّاهرُ أنَّ الوَاوَ الدَّاخلَة عَلَى كَلِمَة الشَّرطِ فِي مِثْلِهِ: اعْتِرَاضِيَّة، ونَعنِي بِالجُملَةِ الاعْتِرَاضِيَّةِ مَا يَتوسَّطُ بينَ أجْزَاءِ الكَلامِ،...وقَدْ تَجيء بَعْدَ تَمَامِ الكَلامِ. كَقَولِهِ علَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ:"أنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، ولا فَخْرَ "(٧)."(٨)

---

(١) تمهيد القواعد، ٥/ ٢٣٤٨

(٢) ارتشاف الضرب، ٣/ ١٦١٣، التذييل والتكميل، ٩/ ١٩٧

(٣) مغني اللبيب، ٥٠٦

(٤) همع الهوامع، ٢/ ٣٢٧

(٥) ضياء السالك إلى أوضح المسالك، ٤/ ٨١

(٦) عُقودُ الزَّبَرْجَدِ على مُسْند الإمَام أَحْمد، ١/ ٢٠٤

(٧) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بَاب مَا يذكر فِي الْأَشْخَاص، وَالْخُصُومَة بَين الْمُسلم واليهودي، ١٢/ ٢٥٠، عُقودُ الزَّبَرْجَدِ على مُسْند الإمَام أَحْمد، ١/ ٢٠٤، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، باب المفاخرة والعصبية، ٧/ ٣٠٧٠

(٨) شرح الرضي على الكافية، ٤/ ٩٨، ٩٩ بتصرف

ويَرَى البَحْثُ: أنَّ الرَّضِيّ في نَصِّهِ السَّابق يُصَرِّحُ بصِحَّةِ وقوعِ الجُملَةِ المُعْتَرِضَة فِي آخرِ الكَلامِ دونَ أن تتوسَّطَ بينَ أجْزَاءِ الكَلامِ، كمَا يَرَى أنَّ الوَاوَ مَعَ الشَّرطِ الدَّاخِلَةِ عَلَيْهِ تُمَثِّلُ جُملَةً اعْتِرَاضِيَّةً فِي الحَديثين الشَّريفين. ومِمَّنْ أجَازَ ذلكَ بلا شَرْط: الزمخشري[١]، وأبو السعود[٢]، والآلوسي[٣]، وأبو الطيِّب القِنَّوجيّ[٤]، ومحمد سيد طنطاوي[٥]

أمَّا الطاهر بن عاشور فَقَدْ صرَّحَ في التحرير والتنوير بوقُوعِ الاعْتِراضِ فِي ذَيلِ الكَلامِ عِندَ تَفْسِيرِهِ لِقَولِهِ–تعَالَى–(وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ خالِدِينَ فِيها وَبِئْسَ المَصِيرُ)[٦]

يقولُ الشيخُ:" وَجُمْلَةُ (وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) اعْتِرَاضٌ تَذْيِيلِيٌّ لِزِيَادَةِ تهويل الوَعيد". [٧]

ويرَى البحثُ أنَّ الطاهرَ بن عاشور فِي هَذَا النَّصِ مُؤَيِّدٌ للقسْمِ الثانِي الذِي يُجِيز وُقُوعَ الجُملةِ الاعْتِراضِيَّة فِي ذَيلِ الكَلام بِلَا شَرْط.

والله–تعالى–أعلى وأعلم

(١) الكشاف: ١/ ١٩٤، ٥٦٩، ٣/ ٥٤٣

(٢) تفسير أبي السعود، ١/ ٧٨، ٩٨، ١٠١، ٢/ ٥، ٦٤، ١٣٤، ٣/ ٢٠، ٤٧، ٥٢

(٣) روح المعاني، ٢/ ٧٦، ٣٥٤، ٣/ ١٥، ٣٠، ٤/ ٤٠، ٣١٩

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، ٢/ ١٠٠، ١٣١، ٥/ ١٩٤، ٣٦٠، ٦/ ١٠٨

(٥) التفسير الوسيط، ٤/ ١٨٦/ ٣١٠، ٦/ ١٢٦، ٧/ ١١٩، ١٠/ ٢٢٠

(٦) التغابن: ١٠

(٧) التحرير والتنوير، ٢٨/ ٢٧٧

- **المَوضِعُ الثَّالِثُ والرَّابِعُ: قال-تعالى-﴿فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى وَإِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُها بِكَ وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ﴾** [١]

الجملة الاعتراضية:

قولـه-تعـالى-(وَاللَّهُ أَعْلَـمُ بِمـا وَضَـعَتْ): (الـواو) اعْتِرَاضِـيَّةٌ، و(اللهُ) مبتـدأ، و(أَعْلَمُ) خبر، و(بما) جَارّ ومَجْرور مُتَعَلقان بـ(أَعْلَمُ)، وجملة (وَضَعَت) لا محل لها؛ لأنها صِلَة (ما)[٢]، وجاءت الجملة اعترَاضِيَّةً عند الطاهر بن عاشور.[٣]

الدراسة:

تُخبـر هـذه الآيـة الكريمـة عمَّـا كـان مِـنْ شـأنِ امـرأة عمـران (حَنَّـةُ بِنْـتُ فَاقُوذَا) [٤]، إذ نذرت أن يكون ما في بطنها مُحرَّرا لخدمة بيت المقدس، وكانت ترجو أن تضع مولودا ذكرا، فلمَّا وضعت حملها كان المولود أنثى، فقالت مُعتذرة إلى الله بما لا تملكه (رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أنثَى)، و(إني سمّيتُهَا مَريم).

- وقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ، وَيَعْقُوبُ: بِضَمِّ التَّاءِ(وَضَعْتُ) [٥]

---

(١) آل عمران: ٣٦

(٢) إعراب القرآن وبيانه، ٤٩٧/١

(٣) التحرير والتنوير، ٣/ ٢٣٣

(٤) حَنَّةُ بِنْتُ فَاقُوذَا. قِيلَ: مَاتَ زَوْجُهَا وَتَرَكَهَا حُبْلَى فَنَذَرَتْ حَبْلَهَا ذَلِكَ مُحَرَّرًا أَيْ مُخَلَّصًا لِخِدْمَةِ بَيْتِ المَقْدِسِ، وَكَانُوا
يَنْذِرُونَ ذَلِكَ إِذَا كَانَ الْمَوْلُودُ ذَكَرًا. التحرير والتنوير، ٢٣٣/٣، فتح القدير، ١/ ٣٨٤

(٥) السبعة في القراءات، ٢٠٤، معاني القراءات،١/ ٢٥١، إعراب القراءات السبع، ٦٩، التيسير في القراءات السبع،٨٧،
جامع البيان في القراءات السبع، ٩٦١/٣، العنوان في القراءات السبع، ٧٩، الإقناع في القراءات السبع، ٣١٠، مفاتيح
الأغاني في القراءات والمعاني، ١٢٨، الكنز في القراءات العشر، ٢/ ٤٣٨.

عَلَى أَنَّهَا مِنْ كلامِ امْرَأَة عِمْرَانَ حَنَّةُ بِنْتُ فَاقُوذَا، وحُجَّتهم أَنَّهَا قَالَت (رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى) كَانَت كَأَنَّهَا أَخْبرت الله بِأَمْر هُوَ أعلمُ بِهِ مِنْهَا فتداركت ذَلِك بقولِهَا (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ)[١]، وَعَلَيْهِ فَاسْمُ الجَلَالَةِ الْتِفَاتٌ مِنَ الخِطَابِ إِلَى الغَيْبَةِ.

يقُولُ الرازي:" وَالفَائِدَةُ فِي هَذَا الكَلَامِ أَنَّهَا لَمَّا قَالَتْ (إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى) خَافَتْ أَنْ يُظَنَّ بِهَا أَنَّهَا تُخْبِرُ اللَّهَ تَعَالَى، فَأَزَالَتِ الشُّبْهَةَ بِقَوْلِهَا (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ) وَثَبَتَ أَنَّهَا إِنَّمَا قَالَتْ ذَلِكَ لِلِاعْتِذَارِ لَا لِلْإِعْلَامِ".[٢]

- وقَرَأَ الْجُمْهُورُ: (وَضَعَتْ) بِسُكُونِ التَّاءِ، خَبَرًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ العَالِمُ بِمَا وَضَعَتْ مِنْ غَيْرِ قَولِهَا. [٣]

وأولى القراءتين بالصواب قراءة الجمهور، وَحجَّتهم: لَو كَانَ كُله كَلَامهَا لقالت امرأة فرعون:

(ربِّ إِنِّي وَضَعتهَا أُنْثَى وَأَنتَ أعلمُ بِمَا وضعتُ)؛ لأنها تُخاطبُ الله –تعالى–[٤]، ولأنها قالت(رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى) فلا تحتاج بعد هذا القول أن تقول(واللهُ أعلمُ بِمَا وضعتُ) [٥]

(١) حجة القراءات، ١٦٠

(٢) مفاتيح الغيب، ٢٠٤/٨

(٣) معاني القراءات، ١/ ٢٥١، إعراب القراءات السبع، ٦٩، التيسير في القراءات السبع،٨٧، جامع البيان في القراءات السبع، ٩٦١/٣، مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني، ١٢٨، الكنز في القراءات العشر، ٢/ ٤٣٨.

(٤) حجة القراءات، ١٦١، التبيان في إعراب القرآن، ٢٥٤/١ ، تفسير القرطبي، ٦٧/٤

(٥) التفسير البسيط، ٥/ ١٩٦

يقول مكي بن أبي طالب:"مَنْ ضمَّ التَّاء وأسكن الْعين لم يبتدىء بقوله (وَاللهُ أعلمُ بِمَا وضعتُ)؛ لِأَنَّهُ من كَلَام أمّ مَرْيَم، وَمن فتح الْعين وأسكن التَّاء ابْتَدَأَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ من كَلَام أمّ مَرْيَم". (١)

أمَّا الشيخُ الطاهر بن عاشور فلَم يُغْفِل الكَلامَ علَى القِراءاتِ إنْ وردَتْ، ولكنَّهُ يتَناوَلُهَا فِي إيجازٍ؛ لإشباعِ مَنْ سَبقَهُ مِن المُفَسِّرين لهَا. وكان يرى أنَّ على المفسِّر أَنْ يُبَيِّنَ اخْتِلَافَ القِرَاءَاتِ المُتَوَاتِرَةِ؛ لِأَنَّ فِي اخْتِلَافِهَا تَوْفِيرًا لِمَعَانِي الآيَةِ غَالِبًا فَيَقُومُ تَعَدُّدُ القِرَاءَاتِ مَقَامَ تَعَدُّدِ كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ.(٢)

فذَكرَ اختلافَ القراءات لقوله–تعالى–(وَضَعَت)، وذَهَبَ إلَى اشتِمَالِ الآيةِ الكَريمَةِ على جُملتَين اعتِرَاضيَّتين بيَن مُتَعَاطفَين، ثمَّ شَرَعَ في عَرْضِ دَلالاتِ الاسْتِعْمالاتِ القرآنيةِ لكلٍّ منهُمَا ومَا فيهِمَا مِنْ دقَائقَ وأسْرار جاءَت عَلَى النَّحو التَّالي:

- ذَهَبَ الشِّيخُ إلى أنَّ الجُملةَ الاسميَّةَ في قوله– تعالى–(وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ) هِي الجُمْلَةُ الاعتِرَاضِيَّةُ الأولَى، وَهي مِنْ كَلَامِ اللَّهِ –تَعَالَى– وَلَيْسَ مِنْ كَلَامِ السيِّدةِ مَريَم المَحْكِيّ، لكنَّهَا بقِرَاءةِ مَنْ ضَمَّ التَّاءِ وأسْكَنَ العَين مِن (وَضَعْتُ) ليسَت جُملةً اعتِراضيّة، وتَكُونُ مَحْكِيَّةً عَلَى لِسَانِ مَرْيَم.
- أَكَّدَ الشيخُ أَنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وتَعَالَى أَعْلَمُ من امْرَأَة عِمْرَانَ بِنَفَاسَةِ مَا وَضَعَتْ، ولَا يَحتَاجُ إلَى إخْبَار.

(١) مشكل إعراب القرآن، ١/ ١٥٦

(٢) التحرير والتنوير، ٥٦/١

وهو ما ذَهَبَ إليه: الطبري[١]، والزمخشري[٢]، والبيضاوي[٣]، والطيبي[٤]،السعود[٥]، والشهاب الخفاجي[٦]، والآلوسي.[٧]

- ذَكَرَ الشَّيخُ أنَّ الغرضَ الذي سيقَتْ مِنْ أجْلِهِ الجُمْلَةُ الاعتِرَاضِيَّةُ الأولَى (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ)

هو التَّنبيهُ والتَّوكيدُ عَلَى عِظَمِ قَدر هَذَا المَولود، وأنَّ لَهُ شأنَاً لمْ تَعرفِيهِ، ولَمْ تَعْرفي إلَّا كونه أنثَى لا غير؛ فالأنثى التِي وَهَبَهَا اللهُ لامرَأةِ فِرعون خيرٌ لها مِنْ الذَّكر الذي كَانتْ تطلُبهُ.

وعَليه: الفخر الرازي [٨]، والطيبي[٩]، وأبو السعود [١٠]، والشهاب الخفاجي[١١]، والآلوسي[١٢]

- بيَّنَ الشيخُ أنَّ فِي الجُملةِ إعلاماً لأهْلِ القرآنِ الكَريمِ مِن المسلمين بِأَنَّ مَنْ فَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَعَقَّبَ تَدْبِيرَهُ أو يتحسَّرَ عَليه
- ذَكَرَ الشيخُ أنَّ قوله –تعالى–(ولَيْسَ الذَّكَرُ كالأنْثَى) جُملةٌ اعتراضِيةٌ ثانيةٌ.

(١) تفسير الطبري، ٥٣٦/٥

(٢) الكشاف، ٣٥٦/١

(٣) تفسير البيضاوي، ١٤/٢

(٤) حاشية الطيبي على الكشاف، ٨٨/٤

(٥) تفسير أبي السعود، ٢/ ٢٨

(٦) حاشية الشهاب على البيضاوي، ٣/ ٢٠

(٧) روح المعاني، ٢/ ١٣٠

(٨) مفاتيح الغيب، ٢٠٤/٨

(٩) حاشية الطيبي على الكشاف، ٨٨/٤، ٨٩

(١٠) تفسير أبي السعود، ٢/ ٢٨

(١١) حاشية الشهاب على البيضاوي، ٣/ ٢٠

(١٢) روح المعاني، ٢/ ١٣٠

والجُملَةُ خَبَرٌ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّحَسُّرِ لِفَوَاتِ مَا قصدته فِي أَنْ يَكُونَ المَوْلُودُ ذَكَرًا، وهَوَ مُبِّينٌ ومُكَمِّلٌ لِمَا اشْتَمَلَ عليهِ الاعتِرَاضُ الأَوَّلُ مِن التَّعظِيم إنْ كانَ الكَلامُ مِن اللهِ –تَعَالَى– وَالمَعْنَى: ولَيْسَ الذَّكَرُ الَّذِي رَغِبَتْ فِيهِ بِمُسَاوٍ لِلْأُنْثَى الَّتِي أُعْطِيَتْهَا لَوْ كَانَتْ تَعْلَمُ عُلُوَّ شَأْنِ هَاتِهِ الْأُنْثَى.

وتَقْدِيرُ الكَلامِ بدون الجُملَتينِ الاعتِرَاضيَّتَين:(فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى وَإِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُها بِكَ وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ) ويكونُ معنَى الآيةِ تاماً، إلَّا أنَّ لُكلِّ جُملَةٍ مِنْهُمَا دَلالَتُهَا كمَا ذُكِر.

- ذَكَرَ الشَّيخُ أنَ التَّعْرِيفَ فِي (الذَّكَرِ) هُوَ تَعْرِيفُ الجِنْسِ؛ لِمَا هُوَ مُرْتَكِزٌ فِي نُفُوسِ النَّاسِ مِنَ الرَّغْبَةِ فِي مَوَالِيدِ الذُّكُورِ، أَيْ لَيْسَ جِنْسُ الذَّكَرِ مُسَاوِيًا لِجِنْسِ الْأُنْثَى.

يَقولُ الشيخ:" وَقَوْلُهُ: (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ) جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ، وَهُوَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَيْسَ مِنْ كَلَامِهَا الْمَحْكِيِّ، وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ: أَنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ مِنْهَا بِنَفَاسَةِ مَا وَضَعَتْ، وَأَنَّهَا خَيْرٌ مِنْ مُطْلَقِ الذَّكَرِ الَّذِي سَأَلَتْهُ، فَالْكَلَامُ إِعْلَامٌ لِأَهْلِ الْقُرْآنِ بِتَغْلِيطِهَا، وَتَعْلِيمٌ بِأَنَّ مَنْ فَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَعَقَّبَ تَدْبِيرَهُ".

وَجُمْلَةُ (وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى) خَبَرٌ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّحَسُّرِ لِفَوَاتِ مَا قصدته فِي أَنْ يَكُونَ الْمَوْلُودُ ذَكَرًا، فَتُحَرِّرُهُ لِخِدْمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَتَعْرِيفُ الذَّكَرِ تَعْرِيفُ الْجِنْسِ لِمَا هُوَ مُرْتَكِزٌ فِي نُفُوسِ النَّاسِ مِنَ الرَّغْبَةِ فِي مَوَالِيدِ الذُّكُورِ، أَيْ لَيْسَ جِنْسُ الذَّكَرِ مُسَاوِيًا لِجِنْسِ الْأُنْثَى، والجملةُ تَكْمِلَةٌ لِلِاعْتِرَاضِ الْمَبْدُوءِ بِقَوْلِهِ: (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ) وَالْمَعْنَى: وَلَيْسَ الذَّكَرُ الَّذِي رَغِبَتْ فِيهِ بِمُسَاوٍ لِلْأُنْثَى الَّتِي أُعْطِيَتْهَا لَوْ كَانَتْ تَعْلَمُ عُلُوَّ شَأْنِ هَاتِهِ الْأُنْثَى".[١]

(١) التحرير والتنوير، ٣/ ٢٣٣. بتصرف.

ويَرَى البَحْثُ أنَّ الطاهر ابنَ عاشور فِي هَذَا الموضِعِ مِن السُّورةِ أجَازَ الاعتِراضَ بأكثر مِن جُملةٍ.

وقد اختُلِفَ في عَدَدِ الجُمَلِ الاعْتِرَاضَيَّةِ عَلى ثَلاثَةِ آراءَ:

- **الأوَّلُ:** فريقٌ يَرى جَوازَ الاعْتراضِ بجُمْلةٍ واحِدَة لا أكثر. وعليه أبو علي الفارسي.(١)
- **الثَّانِي:** فريقٌ يَرى جَوازَ الاعْتراضِ بجُملتَين لا أكثر. وصَحَّحَهُ أبو حيان بقولـه:" ..... وَيَكُونُ قَدْ فُصِلَ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ بِجُمْلَتَيْنِ عَلَى سَبِيلِ الِاعْتِرَاضِ، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ عِنْدَ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ، وَالصَّحِيحُ جَوَازُهُ، وَالصَّحِيحُ مَنْعُ الِاعْتِرَاضِ بِثَلَاثِ جمل وبأربع جمل".(٢)
- **الثَّالِثُ:** فَريقٌ يَرى جَوازَ الاعْتِراضِ بأكثر مِنْ جُملتين. وعليه ابن هشام، واستشهد بقوله –تعالى–

(وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ كَأَنَّما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ) (٣)

يَقولُ ابنُ هِشام:" وَيجُوزُ أَنْ يكُونَ الخَبَرُ جُملَةَ النَّفْي وَمَا قبلهَا جملتان معترضتان وَأَن يكون الْخَبَر (كَأَنَّمَا أُغْشِيَت) فالاعتراض بِثَلَاث جُمَلٍ، أَو (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّار) فالاعتراض بِأَرْبَع جمل".(٤)ويقُولُ الشَّيخُ خالد الأزهريّ:" وَيجوز الِاعْتِرَاض بِأَكْثَرَ من جملَة خلافًا لأبي عَليّ الفَارِسي فِي مَنعه من ذَلِك، وَمن الِاعْتِرَاض بِأَكْثَرَ من جملَة قَوْله –تَعَالَى–(قَالَت رَبِّ إِنِّي وَضَعتهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ

(١) المسائل الشيرازيات، ١/ ١٨٨، ٢/ ٦٢٣

(٢) البحر المحيط، ٦/ ٤٥ بتصرف

(٣) يونس: ٢٧

(٤) مغني اللبيب، ٥١١، ٥١٢ بتصرف

بِمَا وَضَعَت وَلَيْسَ الذّكرُ كَالأنثى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَم) فالجملة الاسمية هِيَ (وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ) بِإِسْكَان التَّاء والفعلية هِيَ (وَلَيْسَ الذّكر كالأنثى) مُعْتَرِضَتَان بَينَ الجُمْلتَين المُصَدَّرتين بِأَنِّي".[١]

والله-تعالى-أعلى وأعلم

****

- **المَوضِعُ الخامِسُ: قال-تعالى-﴿قالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قالَ كَذلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشاءُ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** [٢]

الجملة الاعتراضية:

قوله-تعالى-(قالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ):(قال) فعل ماض والتاء للتأنيث، والفاعل مستتر تقديره (هي)، و(ربِّ) منادَى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، و(أنّى) اسم استفهام في محل نصب على الظرفية والظرف متعلق بمحذوف خبر،(يكون) إذا اعتبرت ناقصة أو حال إذا اعتبرت تامة، و(لي) متعلقان بمحذوف حال، و(ولد) اسم يكون أو فاعلها، وجملة النداء مقول القول، و(وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ): الواو للحال، و(لم) حرف نفي وقلب وجزم، (يمسسني) فعل مضارع مجزوم و(النون) للوقاية، و(الياء) مفعول به، و(بشرٌ) فاعل والجملة حالية[٣]، والجملة اعتراضيَةٌ عند الطاهر بن عاشور.[٤]

الدراسة:

تحدثت الآية الكريمة عن قولِ السيّدة مَريَم لَمَّا أَخْبَرَتْهَا المَلَائِكَةُ أَنَّ اللَّهَ بَشَّرَهَا بِالمَسِيحِ في قوله-تعالى-(إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ

(١) موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، ٥٩

(٢) آل عمران: ٤٧

(٣) إعراب القرآن وبيانه، ٥٠٥، ٥١٣

(٤) التحرير والتنوير، ٣/ ٢٤٨ بتصرف.

مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ) (١)

فنَادَتْ رَبَّهَا، وهُوَ اللهُ، تعَجُّباً واسْتِفْهاماً لا شَكّاً وإنْكَاراً مِنْ حُدُوثِ الوَلَدِ مِنْ غَيْرِ أَبٍ، مِنْ أَيِّ وَجْهٍ يَكُونُ لِي وَلَدٌ؟ أَمِنْ قِبَلِ زَوْجٍ أَتَزَوَّجُهُ؟ أَوْ تَبْتَدِئُ فِي خَلْقِهِ مِنْ غَيْرِ بَعْلٍ وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَمَسَّنِي بِشَرٌ؟ فجاءها الجواب: (كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) يَعْنِي: هَكَذَا يَخْلُقُ اللَّهُ مِنْكِ وَلَدًا لَكِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَمَسَّكِ بِشَرٌ، فَيَجْعَلُهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَعِبْرَةً، فَإِنَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، وَيَصْنَعُ مَا يُرِيدُ، وهُوَ يَأْمُرُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا فَيَقُولُ لَهُ (كُنْ) فَيَكُونُ مَا شَاءَ مِمَّا يَشَاءُ، وَكَيْفَ شَاءَ. وَهَذِهِ الْقَضِيَّةُ أَعْجَبُ مِنْ قَضِيَّةِ زَكَرِيَّا–عليه السلام–؛ لِأَنَّ قَضِيَّتة حَدَثَ مِنْهَا الْوَلَدُ بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ، وَهُنَا حَدَثَ مِن امْرَأَةٍ بِغَيْرِ وَاسِطَةِ بَشَرٍ، وَلِذَلِكَ قَالَتْ (وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ). (٢)

وذهب ابن الجوزيَ(٣)، والقرطبي(٤)، وابن عرفة(٥) إلى أنَّ المُخاطَبَ في قَوْلها: "قالَتْ رَبِّ" هو جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وهذا أمرٌ بعيدٌ، ويُعدُّ مِنْ بِدَعِ التَّفاسير.

يقول الزمخشري:"ومِنْ بِدَعِ التَّفاسير أنَّ قولَها(رَبِّ) نداءٌ لجبريل عليه السلام بمعنى: يا سيدي"(٦)

ويقول أبو حيان:" مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهَا: رَبِّ، وَقَوْلَ زَكَرِيَّا: رَبِّ، إِنَّمَا هُوَ نِدَاءٌ لِجِبْرِيلَ لَمَّا بَشَّرَهُمَا، وَمَعْنَاهُ: يَا سَيِّدِي فَقَدْ أَبْعَدَ".(٧)

(١) آل عمران: ٤٥ ، ٤٦
(٢) تفسير الطبري، ٥/ ٤١٥
(٣) زاد المسير، ١/ ٢٨٣
(٤) تفسير القرطبي، ٤/ ٩٢
(٥) تفسير ابن عرفة، ١/ ٣٥٥
(٦) الكشاف، ١/ ٣٦٤
(٧) البحر المحيط، ٣/ ١٥٨

وذهب ابن عطية[١]، والبيضاوي[٢]، والطيبي[٣]، وأبو السعود[٤]، والآلوسي[٥] إلى أنَّ الاستفهام في قولها (أنَّى يكون لي ولدٌ) للتعجب، وهو استغرابٌ للحَمْلِ على حال بكارتها، واستِبعادٌ من حيث العادة المستمرة وليس إنكارا.

وذهب المعربون–فيما اطلعت عليه–إلى أنَّ الجملة الكريمة (قالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ) مستأنفة استئنافا بيانيا[٦]، كأنه قيل: فماذا كان منها بعد أنْ قالت لها الملائكة(يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ) [٧]، فكان الجواب: (قالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ).

على أنَّ الشيخ الطاهر بن عاشور ذهب في الأمر مذهبا آخر؛ فقد ذَهَبَ إلى أنَّ الجُملةَ الكريمَةَ

(١) المحرر الوجيز، ١/ ٤٣٧

(٢) تفسير البيضاوي، ١٧/٢

(٣) حاشية الطيبي على الكشاف، ٤/ ١٠٠

(٤) تفسير أبي السعود، ٢/ ٣٧

(٥) روح المعاني، ٢/ ١٥٧

(٦) إعراب القرآن للدعاس، ١/ ١٣٤، التفسير الوسيط لطنطاوي، ٢/ ١٠٩، إعراب القرآن وبيانه، ٥٠٥، ٥١٣، الجدول

في إعراب القرآن، ٣/ ١٨٢، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ٤/ ٣١٥

(٧) آل عمران: ٤٥، ٤٦

(قالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ) مُعترضةً بين كلام الملائكة[١]، أي: بين قوله –تعالى–(إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ)[٢] وقوله(قالَ كَذلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشاءُ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[٣]، وليس استئنافا.

ومَلْمَحٌ دَلالِيٌّ لَطِيف يَذكُرُهُ الشيخُ في الغَرَضِ مِنْ هَذَا الاعْتِرَاض على النَّحو التَّالي:

- الغرضُ من النِّدَاءِ في أوَّلِ هذه الجُمْلَةِ المُعْتَرِضَة(رَبِّ) هو التَّحَسُّرِ وَلَيْسَ لِلخِطَاب؛ لِأَنَّ الَّذِي كَلَّمَهَا هُوَ الْمَلَكُ، وَهِيَ قَدْ تَوَجَّهَتْ إِلَى اللَّهِ–تعالى–.
- الغرضُ مِن الاستفهام فِي الجُمْلَةِ المُعْتَرِضَةِ (أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ) هو الْإِنْكَارِ وَالتَّعَجُّبِ معا.

وَلِذَلِكَ أُجِيبَ بجَوَابَيْنِ: **أَحَدُهُمَا:**(كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) فَهُوَ لِرَفْعِ إِنْكَارِهَا.

وَالثَّانِي: قوله–تعالى–(إِذَا قَضَى أَمْرًا...إِلَخْ) لِرَفْعِ تَعَجُّبِهَا.

يقول الشيخ:" قوله(قالَتْ رَبِّ) جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ، مِنْ كَلَامِهَا، بَيْنَ كَلَامِ الْمَلَائِكَةِ، وَالنِّدَاءُ لِلتَّحَسُّرِ وَلَيْسَ لِلْخِطَابِ؛ لِأَنَّ الَّذِي كَلَّمَهَا هُوَ المَلَكُ، وَهِيَ قَدْ تَوَجَّهَتْ إِلَى اللَّهِ، والاستفهام فِي قَوْلِهَا (أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ) لِلْإِنْكَارِ وَالتَّعَجُّبِ، وَلِذَلِكَ أُجِيبَ جَوَابَيْنِ: **أَحَدُهُمَا:**(كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) فَهُوَ لِرَفْعِ إِنْكَارِهَا، **وَالثَّانِي:** (إِذَا قَضَى أَمْرًا...إِلَخْ) لِرَفْعِ تَعَجُّبِهَا". [٤] **والله–تعالى–أعلى وأعلم**

****

(١) التحرير والتنوير، ٣/ ٢٤٨ بتصرف.

(٢) آل عمران: ٤٥، ٤٦

(٣) آل عمران: ٤٧

(٤) التحرير والتنوير، ٣/ ٢٤٨ بتصرف.

- **المَوضِعُ السَّادسُ والسَّابِعُ والثَّامِنُ: قال-تعالى-﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَما مِنْ إِلهٍ إِلَاّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** [١]
- **الجملة الاعتراضية:**

قوله -تعالى-(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ): (إنَّ) حرف مشبَّه بالفعل، و(ها) حرف تنبيه، و(ذا) اسم إشارة مبنيّ في محلّ نصب اسم (إنّ)، و(اللام) هي المزحلقة، و(هو) ضمير فصل لا محل له من الإعراب [٢]، و(القصص) خبر(إنَّ)، ويجوز أن يكون (هو) مبتدأ و(القصص) خبره والجملة الاسمية(هو القصص) خبر (إنّ)، و(الحق) نعت لـ(القصص) مرفوع مثله.

وقوله:(وَما مِنْ إِلهٍ إِلَّا اللَّهُ): (الواو) عاطفة، و(ما) نافية، و(مِنْ) حرف جر زائد، و(إله) مجرور لفظا مرفوع محلًّا مبتدأ ويجوز أن يكون الخبر محذوفا أي: ما مِنْ إله لنا، و(إلا) أداة حصر، و(الله) بدل من محلّ (إله) وهو الرفع. ويجوز أن يكون (الله) خبر (إله).

وقوله (وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ): (الواو) عاطفة، (إنّ) مثل الأولى في بداية الآية (الله)، ولفظ الجلالة: اسم (إنّ) منصوب، و(لهو العزيز) مثل قوله (لَهُوَ القَصَصُ)، و(الحكيم) خبر ثان مرفوع. [٣]

والآيةُ كُلُّهَا اعتراضيَّةٌ عند الطاهر بن عاشور. [٤]

---

(١) آل عمران: ٦٢

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١/ ٤٢٤، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ٣٠٩

(٣) البحر المحيط، ٣/ ١٩٢، التبيان في إعراب القرآن، ١/ ٢٦٨، تفسير البيضاوي، ٢/ ٢١، الكشاف، ١/ ٣٧٠، معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١/ ٤٢٤، التفسير البسيط، ٥/ ٣٢٤، ٣٢٥، إعراب القرآن وبيانه، ١/ ٥٢٦، الجدول في إعراب القرآن، ٣/ ٢٠٤

(٤) التحرير والتنوير: ٣/ ٢٦٦

الدراسة:

فِي هذهِ الآيـة خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ وجَزْمٌ مُؤَكَّدٌ فُصِلَ بِهِ بَيْنَ الْمُخْتَصِمِينَ فـي الآيَاتِ السَّابِقَةِ، وَالْإِشَارَةُ في بدَايَةِ الآيَةِ إِلَى الْقُرْآنِ عَلَى قَوْلِ الجُمْهُورِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى مَا تَقَدَّمَ من أَخْبَارِ عِيسَى–عليه السلام، وَكَوْنِهِ مَخْلُوقًا مِنْ غَيْرِ أَبٍ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ جُرَيْجٍ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُهُمْ. أَيْ: هَذَا هُوَ الْحَقُّ لَا مَا يَدَّعِيهِ النَّصَارَى فِيهِ مِنْ كَوْنِهِ إِلَهًا أَوِ أَنَّه ابْنُ اللَّهِ، وَلَا مَا تَدَّعِيهِ الْيَهُودُ فِيهِ، وفي نهايةِ الآيةِ ردٌّ على كلِّ مَنْ مَنْ يَدَّعِي غَيْرَ اللَّهِ إِلَهًا؛ فالْمُخْتَصُّ بِالألوهيَّة هو الله وحده؛ فلا يُسَاوِيهِ أَحَدٌ في القُدرةِ التَّامةِ والحِكْمَةِ البَالِغةِ ليشاركه في الألوهية، وَهَاتَانِ الصِّفَتَانِ مَنْفِيَّتَانِ عَنْ عِيسَى– عليه السلام–. [1]

وذهب المعربون–فيما اطلعت عليه–إلى أنَّ الآية الكريمة (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَما مِنْ إِلهٍ إِلَاّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) جاءت مركبة من ثلاث جمل استئنافية مسوقة لتقدير ما تقدم ذكره[2]، على النحو التالي:

- الأولى: قولُهُ (إنّ هذا لهو القصص) لا محلّ لها استئنافيّة.
- الثانية: قوله (مَا مِنْ إلـهٍ إلّا الله) لا محلّ لها معطوفة على الاستئنافيّة.
- الثالثة: قوله (إنّ الله لَهُوَ العَزيزُ) لا محلّ لها معطوفة على الاستئنافيّة.

إلَّا أنَّ الشيخ الطاهر بن عاشور لم يَرُقْ له هذا الإعراب، ورأى أنَّ الجملة الكريمة (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ) وَمَا عُطِفَ عَلَيْهَا بِالوَاوِ وهو قوله: (وَما مِنْ إِلـهٍ إِلَاّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) اعْتِرَاضٌ بين قوله –تعالى–(فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا

(١) البحر المحيط، ٣/ ١٩٢

(٢) إعراب القرآن للدعاس، ١/ ١٤٠، إعراب القرآن وبيانه، ١/ ٥٢٦، الجدول في إعراب القرآن، ٣/ ٢٠٤

وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ)[١]، وقوله –تعالى–(فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ)[٢]، وليس استئنافا.

ثمَّ شَرَعَ فِي بَيَانِ الغَرَضِ الَّذي سيقَتْ مِنْ أَجْلِهِ الجُمْلَةُ الاعتِرَاضِيَّةُ وَمَا عُطِفَ عَلَيْهَا وَهُوَ التَّوكِيدُ؛ وذهب إلى أنَّ الله سبحانه قد أكَّد هذه الجمل الاعتراضية وصِدْقَ القصص بأكثر مِنْ مُؤكِّد. على النحو التالي:

- إنَّ. وهي للتوكيد. وقد وردت مرتين؛ الأولى في قوله –تعالى–(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ)، والثانية في قوله (وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)
- اللام. وهي للتوكيد–أيضا–، وقد وردت مرتين في نفس الموضعين السالفين مع (إنَّ).
- أسلوب القصر الذي تضمنه تعريف الطرفين والجمع بينهما، وقد ورد هذا الأسلوب مرتين مع (إنَّ) في قوله: (وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) وقوله: (إِنَّ هَذَا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ)، وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ لَامُ الِابْتِدَاءِ لِزِيَادَةِ التَّقْوِيَةِ الَّتِي أَفَادَهَا ضَمِيرُ الْفَصْلِ. أي: تَقْوِيَةَ الخَبَرِ عَنِ اللَّهِ؛ فالمُخْتَصُّ بِالألوهيَّة هو الله وحده، وفيه إِبْطَالُ إِلَهِيَّةِ الْمَسِيحِ.
- أسلوب الاستثناء في قوله–تعالى–(ومَا مِنْ إلـهٍ إلّا الله) فهذا نفيٌ باتٌّ قاطع للألوهية من غير الله –تعالى–، وإثبات الألوهية لله وحده، وقد أكد النفي بكلمة (مِنْ) فهي تفيد استغراق النفي استغراقا مستمرا ثابتا مؤكدا، وفى النفي والإثبات تأكيدٌ لمعنى المستثنى أبلغ تأكيد، وإنَّ هذا النفي فيه ردٌّ بالغ على النَّصارى الذين ادَّعوا الألوهية للمسيح –عليه السلام–.

(١) آل عمران: ٦١

(٢) آل عمران: ٦٣

يقول الشيخ:" جُمْلَةُ (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ) وَمَا عُطِفَ عَلَيْهَا بِالْوَاوِ اعْتِرَاضٌ لِبَيَانِ مَا اقْتَضَاهُ قَوْل الْكاذِبِينَ؛ لِأَنَّهُمْ نَفَوْا أَنْ يَكُونَ عِيسَى عبد الله، وَزَعَمُوا أَنَّهُ غُلِبَ فَإِثْبَاتُ أَنَّهُ عَبْدٌ هُوَ الْحَقُّ، وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ (لَهُوَ) الْقَصَصُ ضَمِيرُ فَصْلٍ، وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ لَامُ الِابْتِدَاءِ لِزِيَادَةِ التَّقْوِيَةِ الَّتِي أَفَادَهَا ضَمِيرُ الْفَصْلِ لِأَنَّ اللَّامَ وَحْدَهَا مُفِيدَةٌ تَقْوِيَةَ الْخَبَرِ وَضَمِيرَ الْفَصْلِ يُفِيدُ الْقَصْرَ أَيْ هَذَا الْقَصَصُ لَا مَا تَقُصُّهُ كُتُبُ النَّصَارَى وَعَقَائِدُهُمْ. وَقَوْلُهُ: (وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فِيهِ مَا فِي قَوْلِهِ: (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ) فَأَفَادَ تَقْوِيَةَ الْخَبَرِ عَنِ اللَّهِ –تَعَالَى– بِالْعِزَّةِ وَالْحُكْمِ، وَالْمَقْصُودُ إِبْطَالُ إِلَهِيَّةِ الْمَسِيحِ عَلَى حَسَبِ اعْتِقَادِ الْمُخَاطَبِينَ مِنَ النَّصَارَى، فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّهُ قَتَلَهُ الْيَهُودُ وَذَلِكَ ذِلَّةٌ وَعَجْزٌ لَا يَلْتَئِمَانِ مَعَ الْإِلَهِيَّةِ فَكَيْفَ يَكُونُ إِلَهٌ وَهُوَ غَيْرُ عَزِيزٍ وَهُوَ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَيْضًا إِبْطَالٌ لِإِلَهِيَّتِهِ عَلَى اعْتِقَادِنَا لِأَنَّهُ كَانَ مُحْتَاجًا لِإِنْقَاذِهِ مِنْ أَيْدِي الظَّالِمِينَ".[١]

ويَرَى البحثُ أنَّ الطاهر بن عاشور في هذا الموضِع أجازَ اجْتَمَاعَ ثلاثِ جُمَلٍ اعْتِراضِيَّةٍ فِي آيةٍ وَاحِدَةٍ. وقد سَبَقَ الحَديثُ عَن اختِلافِ النَّحويينَ فِي عَدَدِ الجُمَلِ الاعْتِراضِيَّة وموقف الشيخ منها. [٢]

كما يرى أنَّ الشيخَ قد استخْدَم مُصطَلَحاً بَصرياً هوَ "ضَميرُ الفَصْلِ". وفي هَذا الضميرِ قَوْلَانِ: [٣]

- **أَحَدُهُمَا:** أَنْ يَكُونَ فَصْلًا وهُو مّا يسميه الكوفيون عِمَاداً[٤]، وَيَكُونَ خَبَرُ (إِنَّ) هُوَ قَوْلُهُ (الْقَصَصُ الْحَقُّ).

(١) التحرير والتنوير، ٣/ ٢٦٦/ ٢٦٧

(٢) ينظر الموضع الثالث والرابع من الدراسة.

(٣) مفاتيح الغيب، ٨/ ٢٥٠

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١/ ٤٢٤، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ٣٠٩

- **الثَّانِي:** أَنَّهُ مُبْتَدَأٌ، وَ(القَصَصُ) خَبَرُهُ، وَجُمْلَةُ (هُوَ القَصَصُ) خَبَرُ (إِنَّ).
- **فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ جَازَ دُخُولُ اللَّامِ عَلَى الْفَصْلِ؟**

طَالَعَنَا رَدُّ السيوطي بأنه إِذَا جَازَ دُخُولُهَا عَلَى الخَبَرِ كَانَ دُخُولُهَا عَلَى الفَصْلِ أَجْوَدَ، لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْمُبْتَدَأِ مِنْهُ، وَأَصْلُهَا أَنْ تَدخُلَ عَلَى الْمُبْتَدَأِ. ويجوز دخولُ (اللَّام) بعد (إِنَّ) الْمَكْسُورَة على اسْمهَا المفصول إِمَّا بالخبر، نَحْو قوله- تعالى-(وَإِنَّ لَكَ لأجْرَاً) (١)، أو بمعمول الْخَبَر نَحْو: إِنَّ فِيكَ لزيدًا رَاغِبٌ، أَو بمَعمول الِاسْم نَحْو: إِنَّ فِي الدَّار لَسَاكِنًا زيدٌ، وعَلى ضمير الفَصْل نَحْو الآية التي بين أيدينا(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ). (٢)

والله-تعالى-أعلى وأعلم

****

- **الموضِعُ التَّاسِعُ: قال-تعالى-﴿وَلا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾** (٣)
- **الجملة الاعتراضية:**

قوله: (قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ): (قل) فعل أمر والفاعل ضمير مستتر تقديره (أنت)، و(إنّ) حرف مشبّه بالفعل، و(الهُدَى)اسم (إنّ) منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدّرة، و(هُدَى) خبر (إِنَّ) مرفوع وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة، و(الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور. والجُملةُ اعتراضيَّة. (٤)

---

(١) القلم: ٣

(٢) همع الهوامع، ١/ ٥٠٢

(٣) آل عمران: ٧٣

(٤) الجدول في إعراب القرآن، ٣/ ٢١٦

الدراسة:

هَذِهِ الآيَةُ مِنْ كَلَامِ طائِفَةٍ مِن اليَهودِ في الآيةِ السَّابقة[١]، قَصَدُوا بِهِ الِاحْتِرَاسَ مِنْ أنْ يَذهبَ منهُم إلى المُسلمِين مَنْ يَؤمنُ بالإسْلام، فَهُم يُحَاولونَ مِنْ جِهَةٍ بَثَّ الشَّكِّ فِي الإسْلامِ بينَ أهْلِهِ، ومِنْ جِهةٍ أخْرَى يَعمَلونَ عَلى الاحْتِياطِ مِنْ أنْ يَدخُلَ أحَدٌ مِنْ اليَهودِ فِي الإسْلامِ. فَطَلَبُوا مِن ذَويهِم ألَّا يَطمَئِنُّوا أو يُظهِرُوا سِرَّهمْ وَمَا عِنْدَهمْ مِنَ العِلْمِ لِلمُسْلِمِينَ، فَيَتَعَلَّمُوهُ مِنْهمْ، وَيُسَاوُوهمْ فِيهِ وَيَمْتَازُوا بِهِ، أو يَتَّخِذُوهُ حُجَّةً عَليهم، وَتَتَرَكَّبُ الْحُجَّةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فذَكَرَ اللهُ أنَّ الأمُورَ كُلَّها تَحْتَ تَصَرُّفِهِ، وَهُوَ المُعْطِي المَانِعُ، وبيَدِهِ الفَضلُ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ بِالْإِيمَانِ وَالعِلْمِ، وَيَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فيُعْمِي بَصَرَه وبَصِيرَتَهُ.[٢]

وذهب المعربون– فيما اطلعت عليه– إلى أنَّ الجملَةَ الكريمة (قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ) مُعتَرِضة[٣]، والغَرَضُ مِن الاْعِتِرَاضِ: بَيانُ بُطلانِ زَعمِ اليهودِ أنَّهُم أصْحَابُ المَنزلةِ الدِّينِيَّة دونَ غَيرِهِم، ولبَيانِ أنَّ المَنزلةَ مَنشَؤهَا الهِدَاية مِن اللهِ وَحده، وأنَّهُم بذلِكَ التَّفاهُم عَلَى الشَّرِّ والتَّوَاصِي عَلَى البَاطِلِ قَدْ خَرَجوا عَنْ نِطاقِ الهِدَاية فحُقَّتْ لِغَيرِهِمْ. [٤]

(١) المراد قوله –تعالى–(وَقالَتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) آل عمران: ٧٢

(٢) تفسير ابن كثير، ٢/ ٥١

(٣) إعراب القرآن، للدعاس، ١/ ١٤٣، إعراب القرآن للأصفاني، ٢/ ٦٤٧، إعراب القرآن وبيانه، ١/ ٥٣٦، الجدول في إعراب القرآن، ٣/ ٢١٦، المجتبى من مشكل إعراب القرآن، ١/ ١٢٥

(٤) زهرة التفاسير، ٣/ ١٢٥٧

ووافقَهُم الطاهر بن عاشور في مَوضِع جملَةِ الاعتِراضِ وغَرَضِهَا، ثمَّ شَرَعَ في بَيَانِ مَا تَضمَّنتْهُ الجملةُ السَّاميَةِ مِنْ دقَائقَ وأسْرار ودَلالاتٍ جاءَت عَلَى النَّحو التَّالي:

- بيَّنَ الشيخُ أنَّ السَّبَبَ فِي تَأْكِيدِ الجُملَةِ بِـ(إنَّ) هُوَ تَنْزِيلُهُمْ مَنْزِلَةِ مَنْ يُنْكِرُ أَنَّ الهُدَى بِيَدِ اللَّهِ.
- ذَكَرَ الشَّيخُ احتِمَالَينِ أسنَدَهُمَا لابن عَطِيَّة فِي تَحدِيدِ المُتكلِّمِ والمُخَاطَبِ بالجُملَة الاعْتِراضيَّة:

- **الأوَّلُ:** أنَّهَا مِنْ كَلامِ اليَهُودِ وقَعَت ضِمْنَ مُحاورَةٍ لَهُم مَعَ أتْبَاعِهم.
- **الثاني:** أنَّهَا كَلامُ اللهِ، والمُخَاطَبُ بِفعلِ الأمْرِ (قُلْ) هُوَ النَّبِي–صَلَّى اللهُ علَيه وسلَّم– ليُبلِّغَهَا لَهُمْ كَردٍّ عَلَى قَوْلِهِمْ في الآيَة السَّابقَةِ :(آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهار)[1]، وَقَوْلِهِمْ فِي أوَّل هَذِهِ الآيةِ (وَلا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ).

يقولُ الشيخُ:" وَذَكَرَ ابْنُ عَطِيَّةَ وُجُوهًا ثَمَانِيَةً. تَرْجِعُ إِلَى احْتِمَالَيْنِ أَصْلِيَّيْنِ. **الِاحْتِمَالُ الأول:** أَنَّهَا تكملة لِمُحَاوَرَةِ الطَّائِفَةِ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَأَنَّ جُمْلَةَ (قُلْ إِنَّ الهُدى هُدَى اللَّهِ) مُعْتَرِضَةٌ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ الحِوَارِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ قَصْدَهُمْ مِنْ هَذَا الكَلَامِ تَثْبِيتُ أَنْفُسِهِمْ عَلَى مُلَازَمَةِ دِينِ اليَهُودِيَّةِ. **الِاحْتِمَالُ الثَّانِي:** أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ مِمَّا أُمِرَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–بِأَنْ يَقُولَهُ لَهُمْ. وَالكَلَامُ عَلَى هَذَا رَدٌّ عَلَى قَوْلِهِمْ:(آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهار) وَقَوْلِهِمْ (وَلا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ)." [2]

والله–تعالى–أعلى وأعلم

(١) آل عمران: ٧٢

(٢) التحرير والتنوير، ٣/ ٢٨١، تفسير القرطبي، ٤/ ١١٢، المحرر الوجيز، ١/ ٤٥٤–٤٥٦

- **المَوضِعُ العاشِرُ: قال–تعالى–﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾** (١)

الجملة الاعتراضية:

(ما) نافية، (كان) فعل ناقص، (لبشر) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف خبر مقدّم لـ(كان)، (أن) ناصبة،(يؤتيه الله)مضارع منصوب و(الهاء) ضمير مفعول به أوَّل، ولفظ الجلالة فاعل، (الكتاب) مفعول به ثان منصوب،(الحكم والنبوّة) اسمان معطوفان على(الكتاب) ، والمصدر المؤوّل (أنْ يؤتيه الله) في محلّ رفع اسم (كان) مؤخّر، (ثمّ) حرف عطف، (يقول) مضارع منصوب معطوف على (يؤتي) والفاعل مستتر تقديره (هو)،(للناس) جارّ ومجرور متعلّق بـ(يقول)،(كونوا) فعل ناقص مبنيّ على حذف النون والواو اسمها، (عبادا) خبر(كونوا) منصوب،(لي) جار ومجرور في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف نعت لـ(عبادا)، (من دون) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف حال من الياء في(لي)، ولفظ الجلالة مضاف إليه مجرور، والجملة في محل نصب مقول القول، (الواو) عاطفة، (لكن) حرف استدراك لا عمل له، (كونوا) مثل الأولى،(ربّانيّين) خبر(كونوا) منصوب بالياء، وجملة(كونوا ربانيين) في محل نصب مقول قول محذوف أي: ولكن يقول كونوا، (الباء) حرف جرّ، (ما) حرف مصدريّ، (كنتم) فعل ماض ناقص و(تم) في محلّ رفع اسم (كان)، (تعلّمون) مضارع مرفوع والواو فاعل،(الكتاب) مفعول به منصوب، والمصدر المؤوّل (ما كنتم تعلّمون)

(١) آل عمران: ٧٩

فـي محـلّ جـرّ بالبـاء متعلّـق بـ(ربّانيّين) لأن فيـه معنـى الفعـل[١]، والآيـة كلهـا اعتراضٌ عند الطاهر بن عاشور[٢]

الدراسة: اخْتُلِفَ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ على أقْوالٍ. منها:

- **الأول:** نَزَلَت لَمَّا قَالَتِ اليَهُودُ: "عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ"، وَقَالَتِ النَّصَارَى: "المَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ".
- **الثَّـانِي:** نَزَلَت لمَّا قـالَ أبـو رَافِـعٍ القُرَظِـيَّ مِنَ اليَهُودِ وَرَئِيسُ وَفْدِ نَجْرَانَ مِنَ النَّصَارَى لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:"أَتُرِيدُ أَنْ نَعْبُدَكَ وَنَتَّخِذَكَ رَبًّا"، فَقَـالَ عَلَيْـهِ الصَّـلَاةُ وَالسَّـلَامُ: "مَعَـاذَ اللَّهِ أَنْ نَعْبُـدَ غَيْـرَ اللَّهِ أَوْ أَنْ نَـأْمُرَ بِغَيْـرِ عِبَادَةِ اللَّهِ، فَمَا بِذَلِكَ بَعَثَنِي وَلَا بِذَلِكَ أَمَرَنِي".
- **الثَّـالِـثُ:** قَـالَ رَجُـلٌ يَـا رَسُـولَ اللَّهِ: "نُسَـلِّمُ عَلَيْكَ كَمَـا يُسَـلِّمُ بَعْضُـنَا عَلَـى بَعْضٍ، أَفَلَا نَسْجُدُ لَكَ"؟ فَقَالَ عَلَيْـهِ الصَّـلَاةُ وَالسَّـلَامُ: "لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَكِنْ أَكْرِمُوا نَبِيَّكُمْ وَاعْرِفُوا الْحَقَّ لِأَهْلِهِ".[٣]

وذهـب المعربـون– فيمـا اطلعـت عليـه– إلـى أنَّ الآيـة الكريمـة كلهـا استئنافيّة. [٤]

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٥/ ٣٤٥، إعراب القرآن للدعاس، ١/ ١٤٥، الجدول في إعراب القرآن ، ٣/ ٢٢٧، إعراب القرآن وبيانه، ١/ ٥٤٧

(٢) التحرير والتنوير، ٢٩٣

(٣) أسباب النزول، ١١٢، ١١٣، مفاتيح الغيب، ٨/ ٢٧٠

(٤) الجدول في إعراب القرآن، ٣/ ٢٢٩، إعراب القرآن وبيانه، ١/ ٥٤٦

بينما ذهبَ الطاهر بن عاشور إلى أنها اعتراضٌ واستطرادٌ[١] بين قوله (وَإِنَّ مِنهُم لَفَرِيقًا يَلوُۥنَ أَلسِنَتَهُم بِٱلكِتَٰبِ.... وَهُم يَعلَمُونَ)[٢] وقوله (وَإِذ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۧنَ.....وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ)[٣]

فلمَّا ذكَرَ اللهُ تَحْرِيفَ اليَهودِ فِي قولِهُ –تَعَالَى–(وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الكِتابِ وَما هُوَ مِنَ الكِتابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [٤]، وَأَنهم يَعْمدُون إِلَى اللَّفْظَةِ فَيُحَرِّفُونَهَا فِي حَرَكَاتِ الْإِعْرَابِ تَحْرِيفًا يَتَغَيَّرُ بِهِ المَعْنَى، وأنَّهم فَعَلُوا مِثْلَ ذَلِكَ فِي الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ المَوجودة فِي التوراة. [٥]

اسْتَطْرَدَ في هذه الآية بِذِكْرِ التَّحْرِيفِ الَّذِي عِنْدَ النَّصَارَى لِمُنَاسَبَةِ التَّشَابُهِ فِي التَّحْرِيفِ، إِذْ تَقُولُ النَّصَارَى عَلَى المَسِيحِ أَنَّهُ أَمَرَهُمْ بِعِبَادَتِهِ.

ثمَّ شرعَ الشَّيخُ في بَيَانِ الغَرَضِ من الاعْتِرَاضِ ودلالات الاستعمالات القرآنية ودقائقها في الآية الكريمة، والتي جاءت على النحو التالي:

- ذهَبَ الشيخُ إلى أنَّ الغَرَضَ من الاعْتِرَاضِ في قوله تَعَالَى–(مَا كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الكِتابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ

(١) اسْتِطْرَاد: مَصدَر: اسْتَطْرَدَ، ويُقال: اسْتَطْرَدَ إلى، واسْتَطْرَدَ في، والمعني: أنْ يأخُذَ المُتكلّم في مَعْنَى، وقبل أنْ يُتِمَّه يَأخُذَ فِي مَعْنى آخر، أو: هُوَ نَوعٌ مِنْ تَجْمِيلِ الكَلام، وقد تكُونُ وظِيفتُه: الاسْتِعْطَافُ أو إثارَةُ الغَضَبِ أو تَفْنِيد حِجَج المُعَارَضَة. معجم اللغة العربية المعاصرة، (ط ر د)

(٢) آل عمران: ٧٨

(٣) آل عمران: ٨١

(٤) آل عمران: ٧٨

(٥) مفاتيح الغيب، ٨/ ٢٦٩

اللَّهِ) هُو نَفْيُ الاستحقاق، وَمَصَبُّ النَّفْيِ هُوَ المَعْطُوفُ مِنْ قَوْلِهِ:(ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِباداً لِي) أَيْ: مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَقُولَ: كُونُوا عِبَادًا لِي إِذَا آتَاهُ اللَّهُ الكِتَابَ.

- بيَّنَ أنَّ المُرَادَ بِـ(البَشَرِ) عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام، وَالمَقْصُود تَنْزِيهُه عَنْ أَنْ يَكُونَ قَالَ ذَلِكَ، رَدًّا عَلَى النَّصَارَى.
- ذكَرَ الشيخُ أنَّ لفظ (العِبَاد) في قوله (كُونُوا عِبَادًا لِي) جَمْعُ (عَبْدٍ) كَالعَبِيدِ، ولَا يُقْصَدُ به التَّحْقِيرُ.

واستشهَدَ عَلَى هذا المعنَى بقَولِ ابنِ عطية فِي تَفسيرِه:" الَّذِي اسْتَقْرَيْتُ فِي لَفْظِ العِبَادِ أَنَّهُ جَمْعُ عَبْدٍ لَا يُقْصَدُ مَعَهُ التَّحْقِيرُ، وَالْعَبِيدُ يُقْصَدُ مِنْهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى–(يَا عِبَادِيَ) بِخِلَافِ جَمْعِهِ عَلَى عَبِيدٍ كَقَوْلِهِمْ: هُمْ عَبِيدُ الْعَصَا، وَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ الْمُطَلِّبِ: هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا عَبِيدٌ لأبي، وَمِنْه قَوله(وَما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيد)[1]". [2]

- بيَّنَ الشيخُ أنَّ قوله: (مِنْ دونِ اللهِ): قَيْدٌ يدلُّ على شناعةِ القول. فَلا يَنبَغي ولا يُعقَل مِنْ بَشَر آتَاهُ اللهُ كُلَّ هَذه النِّعم أنْ يَقولَ للنَّاس هَذَا القَول الشَّنيع وهو: "كُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ"؛ فالْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَوْصُوفُونَ بِصِفَاتٍ لَا يَحْسُنُ مَعَ تِلْكَ الصِّفَاتِ ادِّعَاءُ الْإِلَهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ.

يقول الشيخ:"(مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ...وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) الآية اعْتِرَاضٌ وَاسْتِطْرَادٌ: فَإِنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ لَيَّ اليَهُودِ أَلْسِنَتَهُمْ بِالتَّوْرَاةِ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ التَّحْرِيفِ، وذلك في قوله–تعالى–(وَإِنَّ مِنهُم لَفَرِيقٗا يَلوُونَ أَلسِنَتَهُم ... وَهُم يَعلَمُونَ)(٣)،اسْتَطْرَدَ في هذه الآية بِذِكْرِ التَّحْرِيفِ الَّذِي عِنْدَ النَّصَارَى؛ لِمُنَاسَبَةِ التَّشَابُهِ فِي التَّحْرِيفِ؛ إِذْ تَقُولُ النَّصَارَى عَلَى المَسِيحِ أَنَّهُ أَمَرَهُمْ بِعِبَادَتِهِ،

(١) فصلت: ٤٦

(٢) التحرير والتنوير، ٣/ ٢٩٣، المحرر الوجيز، ١/ ٤١٦

(٣) آل عمران: ٧٨

فَالمُرَادُ بِالبَشَرِ في أوَّل الآية عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالمَقْصُود تَنْزِيهُ عِيسَى عَنْ أَنْ يَكُونَ قَالَ ذَلِكَ، رَدًّا عَلَى النَّصَارَى،وَقَوْلُهُ(مَا كانَ لِبَشَرٍ)نَفْيٌ لِاسْتِحْقَاقِ أَحَدٍ لِذَلِكَ الْقَوْلِ وَالْمَنْفِيُّ فِي ظَاهِرِ هَذِهِ الْآيَةِ إِيتَاءُ الْحُكْمِ وَالنُّبُوءَةِ، وَلَكِنْ قَدْ عُلِمَ أَنَّ مَصَبَّ النَّفْيِ هُوَ الْمَعْطُوفُ مِنْ قَوْلِهِ:(ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِباداً لِي) أَيْ: مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَقُولَ كُونُوا عِبَادًا لِي إِذَا آتَاهُ اللَّهُ الْكِتَابَ إِلَخْ، وَالْعِبَادُ جَمْعُ عَبْدٍ كَالْعَبِيدِ، وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ:"الَّذِي اسْتَقْرَيْتُ فِي لَفْظِ الْعِبَادِ أَنَّهُ جَمْعُ عَبْدٍ لَا يُقْصَدُ مَعَهُ التَّحْقِيرُ، وَالْعَبِيدُ يُقْصَدُ مِنْهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى(يَا عِبَادِيَ) بِخِلَافِ جَمْعِهِ عَلَى عَبِيدٍ كَقَوْلِهِمْ: هُمْ عَبِيدُ الْعَصَا، وَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ الْمُطَّلِبِ هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا عَبِيدٌ لأبي وَمِنْه قَوله(وَما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) وَقَوْلُهُ(مِنْ دُونِ اللَّهِ) قَيْدٌ قُصِدَ مِنْهُ تَشْنِيعُ الْقَوْلِ بِأَنْ يَكُونُوا عِبَادًا لِلْقَائِلِ بِأَنَّ ذَلِكَ يَقْتَضِي أَنَّهُمُ انْسَلَخُوا عَنِ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى إِلَى عُبُودِيَّةِ الْبَشَرِ".(١)

ويَرَى البَحْثُ أنَّ الطاهر بن عاشور في هَذا الموضِع حَريصٌ عَلَى الأمانةِ العِلميّةِ فِي نِسبَةِ الأقوالِ إلى أصْحَابِهَا، وتَحَرّي الدِّقةِ في ذِكرِ آراءِ المُفَسّرين.

واللهُ –تعالى– أعلى وأعلم

- **الموضِعُ الحَادي عَشَر: قال–تعالى–﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَما أُنْزِلَ عَلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْباطِ وَما أُوتِيَ مُوسى وَعِيسى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾** (٢)

الجملة الاعتراضية:

قوله (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ): (قل) فعل أمر والفاعل مستتر تقديره (أنت)، (آمنّا) فعل ماض وفاعله، والجملة مقول القول، (بالله) جارّ ومجرور، و(وَما أُنْزِلَ

(١) التحرير والتنوير، ٢٩٣– ٢٩٥. بتصرف

(٢) آل عمران: ٨٤

عَلَيْنا):(الواو)عاطفة، (ما) اسم موصول مبنيّ معطوف على (الله)، (أنزل)ماض مبنيّ للمجهول ونائبه مستتر تقديره (هو)،(علينا) جارّ ومجرور والجملة صلة الموصول.

قوله (وَما أُنْزِلَ عَلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْباطِ): الواو حرف عطف، و(ما) اسم معطوف على (ما) الأولى، و(أنزل) فعل مبني للمجهول ونائبه مستتر تقديره (هو) والجملة صلة، و(على إبراهيم) جار ومجرور والأسماء المتعاقبة عطف على (إبراهيم).

قوله (وَما أُوتِيَ مُوسى وَعِيسى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ): عطف على ما تقدم، و(أوتي) فعل ماض مبني للمجهول و(موسى) نائب فاعل وما بعده عطف عليه، و(من ربهم) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف حال من الضمير المقدّر في (أوتي) أي ما أوتيه موسى ... منزلا من ربّهم، وقوله (لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ): (لا) نافية (نفرّق) مضارع مرفوع، (بين) ظرف مكان منصوب، (أحد) مضاف إليه، (منهم) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف نعت لـ(أحد) والجملة حالية. وقوله (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ): (الواو) عاطفة، (نحن) ضمير في محلّ رفع مبتدأ، (اللام) حرف جرّ، و(الهاء) ضمير في محلّ جرّ وهو خبر المبتدأ مرفوع بالواو، والجملة في محلّ نصب معطوفة على جملة الحال[١]، والآية الكريمة كلها اعتراضٌ عندَ الطاهر بن عاشور.[٢]

الدراسة:

لَمَّا ذَكَرَ اللهُ قَولَه –تَعَالَى–فِي الآيَةِ المُتَقَدِّمَةِ(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ج

(١) الجدول في إعراب القرآن، ٣/ ٢٣٥، ٢٣٦، إعراب القرآن وبيانه، ١/ ٥٥٥، ٥٥٦

(٢) التحرير والتنوير، ٣/ ٣٠٢

قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ[١]، وأَنَّهُ إِنَّمَا أَخَذَ المِيثَاقَ عَلَى الأَنْبِيَاءِ فِي تَصْدِيقِ الرَّسُولِ الَّذِي

يَأْتِي مصدقٌ لِمَا مَعَهُمْ، بَيَّنَ هُنا فِي هَذِه الآيَةِ أَنَّ مِنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَوْنَهُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ. فَقَالَ: (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ) إِلَى آخِرِ الآيَةِ، أي: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: صَدَّقْنَا بِاللَّهِ أَنَّهُ رَبُّنَا وَإِلَهُنَا، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا نَعْبُدُ أَحَدًا سِوَاهُ، وَصَدَّقْنَا بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا مِنْ القُرآن، فالإنْزَالُ عَلَى نَبِيِّ الأمَّةِ إنْزَالٌ عَلَيها، وَصَدَّقْنَا بِمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ابْنَيْهِ (إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ) وَابْنِ ابْنِهِ (يَعْقُوبَ)، وَبِمَا أُنْزِلَ عَلَى الْأَسْبَاطِ وَهُمْ وَلَدُ يَعْقُوبَ، وبِالَّذِي أَنْزَلَه اللَّهُ عَلَى مُوسَى وهي التَّوراة، وَمَا أَنْزَلَهُ على عِيسَى وهو الإنْجِيلُ، وبِمَا أَنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّينَ مِنْ عِنْدِهِ، لَا نُصَدِّقُ بَعْضَهُمْ وَنُكَذِّبُ بَعْضَهُمْ، وَلَا نُؤْمِنُ بِبَعْضِهِمْ وَنَكْفُرُ بِبَعْضِهِمْ. [٢]

وذهب المعربون– فيما اطلعت عليه– إلى أنَّ الآية الكريمة استئنافيّة. [٣]

على أنَّ الطاهر بن عاشور ذهب إلى أنَّ الآيةَ اعْتِرَاضٌ في المقَام الأوَّل بين قوله–تعالى–(أَفَغَيرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبغُونَ وَلَهُۥٓ أَسلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ طَوعا وَكَرها وَإِلَيهِ يُرجَعُونَ)[٤] وقوله(وَمَن يَبتَغِ غَيرَ ٱلإِسلَٰمِ دِينا فَلَن يُقبَلَ مِنهُ وَهُوَ فِي ٱلأَخِرَةِ مِنَ ٱلخَٰسِرِينَ)[٥] في الآيةِ التالية.[٦]

ويَكُون الغَرَضُ من الاعْتِراضِ هُوَ تأكيدُ مَضمُونِ الكَلامِ الذي قَبله وتَقويَته؛ وأنَّ عَلَى رَسولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ– والُمسلِمين معهُ التَّصديقَ بِاللَّهِ رَبَّاً

(١) آل عمران: ٨١

(٢) المحرر الوجيز، ١/ ٤٦٧، تفسير القرطبي، ٥/ ٥٥٤.

(٣) الجدول في إعراب القرآن، ٣/ ٢٣٥، ٢٣٦، إعراب القرآن وبيانه، ١/ ٥٥٥، ٥٥٦

(٤) آل عمران: ٨٣

(٥) آل عمران: ٨٥

(٦) التحرير والتنوير، ٣/ ٣٠٢

وَإِلَـهً، وعِبَادةَ اللهِ وَحده ولا أَحَدَ سِوَاهُ، والتَّصديقَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ويَعْقُوبَ والْأَسْبَاطِ، والتَّصديقَ بَمَا أَنْزَلَه اللَّهُ عَلَى مُوسَى وعِيسَى والنَّبِيّينَ مِنْ عِنْدِهِ.

ثمَّ شَرَعَ في عَرْضِ دَلالاتِ الاسْتِعْمالاتِ القرآنيةِ للآيةِ ومَا فيهِا مِنْ دقَائقَ وأسْرار عَلَى النَّحو التَّالي:

- ذَكَرَ الشيخُ أَنَّ السَّبَبَ فِي تَوحِيدِ الضَّمِيرُ فِي فِعْلِ الأمْرِ (قُلْ)؛ أَنَّ المُخَاطَبُ بِه هُوَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِيَقُولَ ذَلِكَ بِمَسْمَعٍ مِنَ النَّاسِ: مُسْلِمُهُمْ، وَكَافِرُهُمْ.
- بَيَّنَ الشَّيخُ أَنَّ السَّبَبَ وَرَاءَ جَمعِ الضَّميرِ فِي (أُنْزِلَ عَلَينَا)؛ هُو الدَّلالَةُ علَى أَنَّ الإِنْزَالُ عَلَى نَبِيّ الأمَّةِ إِنْزَالٌ عَلَيها، ولِاشْتِرَاكِهِمْ فِي وُجُوبِ العَمَلِ بِمَا أُنْزِلَ.
- كَشَفَ الشيخُ عَن السَبَبِ ورَاءَ تَعدِيَةِ الفِعْلِ(أُنْزِلَ) هنا بـ(عَلَى) وفِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ بِـ(إِلَى).[1]

فتَعدِيَته هُنَا بـ(عَلَى) بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْإِنْزَالَ يَقْتَضِي عُلُوًّا فَوُصُولُ الشَّيْءِ الْمُنَزَّلِ وُصُولُ اسْتِعْلَاءٍ، وَعُدِّيَ فِي سُورَةِ البَقَرَةِ بـ(إِلَى) بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْإِنْزَالَ يَتَضَمَّنُ الوُصُولَ.

وهُنَا إِشَارة مِن الشيخ لمعنى(على)؛ فهو حرفٌ يَدُلُّ على الاستعلاء حِسَّاً، كقولـه –تعـالى–:(كُـلُّ مَـنْ عَلَيْهَـا فَـانٍ)[2]، وقولـه(وَعَلَيْها وَعَلَـى الْفُلْـكِ

(١) المقصود قوله:(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ...وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) البقرة: ١٣٦

(٢) الرحمن: ٢٦

تُحْمَلُونَ)[١]، أو معنى، كقوله–تعالى–(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)[٢]، وقوله(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)[٣]

وهذا المعنى متفقٌ عليه؛ إذ هو أصْلُ معانيها.[٤]

يقول الرَّازي:" فَإِنْ قِيلَ: لِمَ عَدَّي (أُنْزِلَ) فِي هَذِهِ الآيَةِ بِحَرْفِ الِاسْتِعْلَاءِ، وَفِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ مِثْلِهَا بِحَرْفِ الِانْتِهَاءِ؟ قُلْنَا: لِوُجُودِ المَعْنَيَيْنِ جَمِيعًا، لِأَنَّ الوَحْيَ يَنْزِلُ مِنْ فَوْقَ وَيَنْتَهِي إِلَى الرُّسُلِ، فَجَاءَ تَارَةً بِأَحَدِ المَعْنَيَيْنِ وَأُخْرَى بِالْآخَرِ".[٥]

- ذَكَرَ الشيخُ أنَّ الآيةَ في المَقَام الأوّلِ اعْتِرَاضٌ –كمَا مرَّ–ثُمَّ اسْتِئْنَافٌ غَرَضُهُ تَلْقِينُ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَالمُسْلِمِينَ كَلَامًا جَامِعًا لِمَعْنَى الْإِسْلَامِ لِيَدُومُوا عَلَيْهِ، وَيُعْلِنُ بِهِ لِلْأُمَمِ.

يقول الشيخ:" المُخَاطَبُ بِفِعْلِ (قُلْ) هُوَ النَّبِي–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، لِيَقُولَ ذَلِكَ بِمَسْمَعٍ مِنَ النَّاسِ: مُسْلِمُهُمْ، وَكَافِرُهُمْ، وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ: (وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا) أَيْ: أُنْزِلَ عَلَيَّ لِتَبْلِيغِكُمْ فَجَعَلَ إِنْزَالَهُ عَلَى الرَّسُولِ وَالْأُمَّةِ لِاشْتِرَاكِهِمْ فِي وُجُوبِ الْعَمَلِ بِمَا أُنْزِلَ، وَعَدَّى (أُنْزِلَ) هُنَا بِـ(عَلَى) بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْإِنْزَالَ يَقْتَضِي عُلُوًّا فَوُصُولُ الشَّيْءِ الْمُنَزَّلِ وُصُولُ اسْتِعْلَاءٍ، وَعُدِّيَ فِي آيَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ بِـ(إِلَى) بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْإِنْزَالَ يَتَضَمَّنُ الْوُصُولَ وَهُوَ يَتَعَدَّى بِحَرْفِ(إِلَى). وَالْجُمْلَةُ اعْتِرَاضٌ. وَاسْتِئْنَافٌ: لِتَلْقِينِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْمُسْلِمِينَ كَلَامًا جَامِعًا لِمَعْنَى الْإِسْلَامِ لِيَدُومُوا عَلَيْهِ، وَيُعْلِنُ بِهِ لِلْأُمَمِ. وَمَعْنَى: لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنَّنَا لَا نُعَادِي الْأَنْبِيَاءَ، وَلَا يَحْمِلُنَا حُبُّ نَبِينا عَلَى كَرَاهَتِهِمْ، (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ

---

(١) المؤمنون: ٢٢

(٢) البقرة: ٢٥٣

(٣) البقرة: ٢٢٨

(٤) ارتشاف الضرب، ٤/ ١٧٣٤، الجنى الداني، ٤٧٦، تمهيد القواعد، ٦/ ٢٩٧٥

(٥) مفاتيح الغيب، ١/ ٢٨٢، ٢٨٣

دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الخاسِرِينَ)[آل عمران:٨٥] عُطِفَ عَلَى جُمْلَةِ (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ) وَمَا بَيْنَهُمَا اعْتِرَاضٌ، كَمَا عَلِمْتَ".[١]

والله-تعالى-أعلى وأعلم

- **المَوضِعُ الثَّاني عَشَرَ: قال-تعالى-﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾** [٢]

الجملة الاعتراضية:

قوله(فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً): (الفاء) رابطة للجواب لما في الموصول من معنى الشرط في قوله(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ)، و(لن) حرف نصب، و(يُقْبَل) فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بـ(لن) والجملة خبر (إنَّ) [٣]، (مِنْ أحَدِهِم) جار ومجرور متعلقان بـ(يُقْبَل)، و(مِلْءُ) نائب فاعل، و(الأرض) مضاف إليه، و(ذهبا) تمييز، وذهبَ الكِسَائِيُّ إلَى أنَّ النَّصْبَ عَلَى إِضْمَارِ(مِنْ) أَيْ: مِنْ ذَهَبٍ، وذلِكَ كَقَوْلِهِ -تعالى-(أَوْ عَدْلُ ذلِكَ صِياماً)[٤]، أَيْ: مِنْ صِيَامٍ[٥]، والجُملةُ اعتراضيَّةٌ عند ابن عاشور.[٦]

(١) التحرير والتنوير، ٣/ ٣٠٢ بتصرف

(٢) آل عمران: ٩١

(٣) إعراب القرآن للنحاس، ١/ ١٧٠، الجدول في إعراب القرآن، ٣/ ٢٤٤، ٢٤٥، إعراب القرآن وبيانه، ١/ ٥٦٠

(٤) المائدة: ٩٥

(٥) تفسير القرطبي، ٤/ ١٣١، فتح القدير، ١/ ٤١١، ٤٢١، البحر المحيط، ٣/ ٢٥٥

(٦) التحرير والتنوير، ٣/ ٣٠٦

الدراسة:

جَاءَت الآيةُ اسْتِئْنَافاً لِبَيَانِ حَالِ الكَافِرِينَ الَّذِينَ مَاتُوا عَلَى كُفْرِهِمْ، نَشَأَ عَنْ حُكْمِ فَرِيقٍ مِنَ الْكُفَّارِ فِي الآيةِ السابقة[١] تَكَرَّرَ مِنْهُمُ الكُفْرُ حَتَّى رَسَخَ فِيهِمْ وَصَارَ لَهُمْ دَيْدَنًا. وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ مِنَ الَّذِينَ ازْدَادُوا كُفْرًا: الَّذِينَ مَاتُوا عَلَى الْكُفْرِ، كَانَتْ هَذِهِ الآيَةُ كَالتَّوْكِيدِ اللَّفْظِيِّ لِلْأُولَى. أُعِيدَتْ لِيُبْنَى عَلَيْهَا قَوْلُهُ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً.[٢]

ومِن المُعربين مَنْ ذهبَ إلى أنَّ الجُملةَ الكَريمةَ (فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً) فِي محَلِّ رفعِ خبر (إنَّ)، وجُملَةُ (أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ): استئنافية، ولا اعتْراضَ فِي الآية.[٣]

أمَّا الطاهر بن عاشور فقَدْ ذَهَبَ إلَى جَوازِ وَجهَين مِن الإعْرابِ:

- **الأَوَّلُ:** أنْ تكونَ الجُمْلَةُ خَبراً لـ(إنَّ)، وجُملَةُ (أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ) مُسْتَأنَفةٌ اسْتِئْنَافًا بَيَانِيًّا نَاشِئًا عَنِ الإِخْبَارِ بِأَنَّهُ لَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ فِدْيَةٌ.
- **الثَّانِي:** أنْ تكونَ مُعْتَرِضَةً بَيْنَ اسْمِ (إنَّ): (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) وخَبَرِهَا(أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) واقترَنَت بِالفَاءِ كَالَّتِي فِي قَوْلِهِ–تَعَالَى–(ذلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكافِرِينَ عَذابَ النَّارِ).[٤]

والغَرَضُ الدَّلاليَّ مِنْ وراءِ الاعْتِرَاضِ هُوَ: التَّوكيدُ عَلَى عَدمِ قَبولِ الفِدْيَةِ بَسَبَبِ المَوتِ عَلى الكُفْرِ.

---

(١) المراد قوله –تعالى–(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ) آل عمران: ٩٠

(٢) التحرير والتنوير، ٣/ ٣٠٥

(٣) إعراب القرآن وبيانه، ١/ ٥٦٠، الجدول في إعراب القرآن، ٣/ ٢٤٥، إعراب القرآن للدعاس، ١/ ١٤٩

(٤) الأنفال: ١٤

ثُمَّ شَرَعَ فِي عَرْضِ دَلالاتِ الاسْتِعْمالاتِ القُرْآنِيَّةِ فِي الجُملَةِ السَّامِيَة ومَا فيهِمَا مِنْ دقَائقَ وأسْرار جاءَت عَلَى النَّحو التَّالي:

- وَضَّحَ الشَّيخُ السَّببَ الدَّلاليّ ورَاءَ مَجيء قَولِهِ –تعالى–(لَنْ تُقْبَلَ) بِغَيْرِ فَاءٍ فِي الآيَةِ السَّابِقَةِ وهنا بِالفَاءِ(فَلَنْ يُقْبَلَ) بأَنَّ دُخُولَهَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الكَلَامَ مَبْنِيٌّ عَلَى الشَّرْطِ وَالجَزَاءِ وَعِنْدَ عَدَمِ الفَاء لَمْ يُفْهَمْ مِنَ الكَلَامِ كَوْنُهُ شَرْطًا وَجَزَاءً.

فَسَبَبُ عَدَمِ قَبُولِ التَّوْبَةِ هُنَا فِي قَولِهِ: (فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً) مُصَرَّحٌ بِهِ، وهُوَ المَوتُ عَلى الكُفْرِ. ولهذَا اقْتَرَنَ خَبَرُ الْمَوْصُولِ بِالفَاءِ.

أمَّا سَبَبُ عَدَمِ قَبُولِ التَّوْبَةِ فِي الآيَةِ السَّابِقةِ (لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ) فَغَيرُ مُصَرَّحٌ بِه.

ولهذَا لَمْ يَقْتَرِنْ خَبَرُ المَوْصُولِ بِالفَاءِ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا كَفَرُوا بَعْدَ إيمَانِهِم وَلَمْ يَمُوتُوا كَافِرِينَ قُبِلَتْ تَوْبَتُهُمْ.

- ذَكَر الَشَّيخُ أنَّ اقْتِرَانَ خَبَرِ المَوْصُولِ بِالفَاءِ إيمَاءٌ إِلَى أَنَّهُ أَشْرَفُ مَعْنَى الشَّرْطِ، فَلَا يُرَادُ بِهِ ذُو صِلَةٍ مُعَيَّنٌ بَلِ المُرَادُ كُلُّ مَنْ تَحَقَّقَتْ فِيهِ مَاهِيَّةُ الصِّلَةِ وَهِيَ الكُفْرُ وَالمَوْتُ على الكفْر.

يقول الشيخ:" الفَاءُ فِي قَوْلِهِ (فَلَنْ يُقْبَلَ) مُؤْذِنَةٌ بِمُعَامَلَةِ الْمَوْصُولِ مُعَامَلَةَ اسْمِ الشَّرْطِ؛ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ الصِّلَةَ هِيَ عِلَّةُ عَدَمِ قَبُولِ التَّوْبَةِ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَقْتَرِنْ خَبَرُ الْمَوْصُولِ بِالْفَاءِ فِي الْجُمْلَةِ الَّتِي قَبْلَهَا (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ) [آل عمرَان:٩٠] لِأَنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ وَلَمْ يَمُوتُوا كَافِرِينَ قُبِلَتْ تَوْبَتُهُمْ، بِخِلَافِ الَّذِينَ يَمُوتُونَ عَلَى الْكُفْرِ فَسَبَبُ عَدَمِ قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنْهُمْ مُصَرَّحٌ بِهِ، وَعَلَيْهِ فَجُمْلَةُ (فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ إِلَى آخِرِهَا) فِي مَوْضِعِ خَبَرِ (إِنَّ) وَجُمْلَةُ (أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ) مُسْتَأْنَفَةٌ اسْتِئْنَافًا بَيَانِيًّا نَاشِئًا عَنِ الْإِخْبَارِ بِأَنَّهُ لَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ فِدْيَةٌ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ جُمْلَةُ (فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ إِلَى آخِرِهَا) مُعْتَرِضَةً بَيْنَ اسْمِ (إِنَّ) وَخَبَرِهَا مُقْتَرِنَةً بِالْفَاءِ كَالَّتِي فِي قَوْلِهِ –تَعَالَى–(ذلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ

لِلْكافِرِينَ عَذابَ النَّارِ) [الْأَنْفَال:١٤] وَتَكُونُ جُمْلَةُ (أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ) خَبَرَ (إِنَّ)". (١)

ويقُولُ الشَّيخُ فِي مَوضِعٍ آخر:" وَاقْتِرَانُ خَبَرِ المَوْصُولِ بِالفَاءِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّه أَشْرَف مَعْنى الشَّرطِ فَلَا يُرَادُ بِهِ ذُو صِلَةٍ مُعَيَّنٌ بَلِ المُرَادُ كُلُّ مَنْ تَحَقَّقَتْ فِيهِ مَاهِيَّةُ الصِّلَةِ وَهِيَ الكُفْرُ وَالمَوْتُ على الكفْر".(٢)

- كَشَفَ الشَّيخُ عَنْ مَعْنَى (المِلْءُ) فِي اللغَةِ. وأَنَّهُ بِالكَسْرِ يَعْنِي: مِقْدَارَ مَا يَمْلَأُ الشَّيْءَ، وبِالفَتْحِ هُوَ مَصْدَرُ مَلَأَ. (٣)
- ذَكَر الشَّيخُ أَنَّ قَولَهُ –تَعَالَى–(مِلْءُ الْأَرْضِ) تَعبيرٌ اسْتَخْدَمَتهُ العَرَبُ كِنَايَةٌ عَنِ الكَثْرَةِ المُتَعَذِّرَةِ؛ لِأَنَّ الْأَرْضَ لَا يَمْلَؤُهَا شَيْءٌ مِنَ المَوْجُودَاتِ الْمُقَدَّرَةِ، كَقَوْلِهِمْ: عَدَدُ رِمَالِ الدَّهْنَاءِ، وَعَدَدُ الحَصَى.
- بَيَّنَ الشَّيخُ الغَرَضَ الدَّلاليّ مِن اسْتِعْمَالِ الذَّهَبِ دُونَ غَيرِهِ في قوله –تَعَالَى– (فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا) وهُوَ: عِزَّةُ الذَّهَبِ وَتَنَافُسُ النَّاسِ فِي اقْتِنَائِهِ وَقَبُولُ حَاجَةِ مَنْ بَذَلَهُ.

يقول الشيخ:" و(المِلْءُ)– بِكَسْرِ المِيمِ– مَا يَمْلَأُ وِعَاءً، وَمِلْءُ الْأَرْضِ فِي كَلَامِهِمْ كِنَايَةٌ عَنِ الْكَثْرَةِ

المُتَعَذِّرَةِ؛ لِأَنَّ الْأَرْضَ لَا يَمْلَؤُهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ الْمُقَدَّرَةِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِمْ: عَدَدُ رِمَالِ الدَّهْنَاءِ، وَعَدَدُ الحَصَى، وَمُيِّزَ هَذَا الْمِقْدَارُ بِذَهَبًا؛ لِعِزَّةِ الذَّهَبِ وَتَنَافُسِ النَّاسِ فِي اقْتِنَائِهِ وَقَبُولِ حَاجَةِ مَنْ بَذَلَهُ". (٤)

---

(١) التحرير والتنوير، ٣/ ٣٠٦

(٢) التحرير والتنوير، ٢٦/ ١٢٩

(٣) تاج العروس (م ل أ)، معجم الصواب اللغوي (م ل أ)

(٤) التحرير والتنوير، ٣/ ٣٠٦ بتصرف

ويَرَى البَحْثُ أنَّ الطَّاهرَ بن عاشور فِي هَذَا المَوضِعِ مِن السُّورَةِ قَدْ فَرَّقَ بَيْنَ الخَبَرِ عَن المَوصُول إذا كَان فَيهَ الفاءُ، وبَينَه إذا لمْ يَكُن.

فَقَدْ يُشَبَّهُ اسْمُ المَوصولِ بالشَرطِ فَتَدخُلُ فَي جَوابِهِ الفَاءُ، نَحْوَ قَولِكَ: "الَّذي يَدْخُلَ الدَّارَ فَلَهُ مُكَافأة" فإنَّ دُخُولَ الفَاءِ مَعْنَاهُ: أنَّ المُكافأةَ تَتَرَتَّبُ عَلَى دُخُولِ الدَّار، تَرَتُّبَ الجَزَاءِ عَلَى الشَّرطِ، فَيكونُ دُخولُ الدَّار سَبباً للحُصُولِ عَلَى المُكافأةِ. وأمَّا حَذفُهَا فيَحتمِلُ السَّببيَّة وغَيرَهَا، أي: يَحتملُ أنَّ المُكافأةَ مُترتبةٌ عَلَى الدُّخولِ كالجُملة السَّابقةِ، ويَحتملُ أنَّ المُكافأةَ ليسَتْ مُترتبةً عَلَى الدُّخولِ، بَلْ هِي لَهُ قَبلَ أنْ يَدخُل. (١)

يقول الزجاج:" الفَاءُ تَأْتِي بِمَعْنَى الشَّرْطِ وَالجَزَاءِ؛ لأنَّكَ لَوْ قُلتَ: "الَّذِي أَكْرَمَنِي لَهُ دِرْهَمٌ" لَمْ يُفِدْ أَنَّ الدِّرْهَمَ بِسَبَبِ الْإِكْرَامِ، أَمَّا لَوْ قُلْتَ: "الَّذِي أَكْرَمَنِي فَلَهُ دِرْهَمٌ" يُفِيدُ أَنَّ الدِّرْهَمَ بِسَبَبِ الإِكْرَامِ".(٢)

وعَلَى هَذَا فَدُخولُ الفَاءِ يُفيدُ التَّنصِيصَ عَلَى السَّبَبِ، وحَذفُهَا لا يُفيدُ التَّنصِيصَ عَلَى شَيء، بَل يَحتَمِلُ السَّببَ وغَيرَهُ. **والله-تعالى-أعلى وأعلم**

****

- **المَوضِعُ الثّالث عَشَرَ:قال-تعالى-﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** (٣)

الجملة الاعتراضية:

قولـه: (فَـاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُـمْ تَشْـكُرُونَ): (الفـاء) رابطـة لجـواب شـرط مقـدّر. أي: إنْ فَعَلَ اللهُ بكم ذلكَ فاتّقُوه، و(اتقوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل، و(الله) مفعول به، و(لعلَّ) حرف مشبّه بالفعل للترجّي، و(كم) ضمير في

(١) الأصول في النحو، ٢/ ٢٧٢، معاني النحو، ٤/ ١٢٧، شرح المفصل، ١/ ٢٥٢

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١/ ٣٥٨، مفاتيح الغيب، ٧/ ٧١

(٣) آل عمران: ١٢٣

محلّ نصب اسم (لعلّ)، و(تشكرون) مضارع مرفوع والواو فاعل، والجملة في محلّ رفع خبر (لَعَلّ) وجملة الرجاء في محل نصب حال[١]، واعتِراضِيَّةٌ عند الطاهر بن عاشور.[٢]

الدراسة:

يَذْكُرُ اللَّهُ –تَعَالَى–فِي هَذِهِ الآيَةِ مِنَّتَهُ عَلَي المُسلِمين حين لَزِمُوا الطاعةَ بِالنُّصْرَةِ يَوْمَ بَدْرٍ؛ وكَانَ ذلكَ يَوْمَ سَبْعَةَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ، يَوْمَ جُمُعَةٍ لِثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا مِنَ الهِجْرَةِ، فَقَد كانَ المسلمُون فِي غَايَةِ الفَقْرِ وَالعَجْزِ، وَالكُفَّارَ كَانُوا فِي غَايَةِ الشِّدَّةِ وَالقُوَّةِ، وكانَ عددُ المسلمن في تلك الحرب ثَلاثمَائة وبضعة عشر رجلًا، وهذا قول عامة السلف، ومعهم: فرسان، وستون درعًا، وسبعون بعيرا. أما المشركون: فقيل: عددهم: تسعمائة وخمسون رجلًا، وقيل: ألف رجل. ومعهم: ستمائة درع، ومائتا فرس، وعليهم أن يتَّقوا عقابَ اللهِ بالعمل بطاعته؛ ليقوموا بشكر نعمته. [٣]

ومِن المُعربينَ مَنْ ذَهَبَ إلى أنَّ الجملة الكريمة (فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) تَعْليليَّة لا مَحَلَّ مِن الإعْرَاب[٤]، ومنهُم مَنْ ذهَبَ إلى أنَّهَا حاليَّة. [٥]

إلَّا أنَّ الشيخ الطاهر بن عاشور لم يَرُقْ له هذا الإعْرَابِ، وذَهَبَ إلى أنَّ الجُملَةَ السَّاميَةَ اعْتِرَاضيَّة والغرَضُ مِنهَا الحَثُّ عَلَى تَقْوَى اللهِ والشُّكرُ لَهُ.

(١) إعراب القرآن وبيانه، ٢/ ٤٦، ٤٧

(٢) التحرير والتنوير، ٤/ ٧٢

(٣) التفسير البسيط، ٥/ ٥٦٦، تفسير البغوي، ١/ ٥٠١، مفاتيح الغيب، ٨/ ٣٤٨، تفسير القرطبي، ٤/ ١٩٠

(٤) إعراب القرآن للدعاس، ١/ ١٥٩، الجدول في إعراب القرآن، ٤/ ٢٩٨، ٢٩٩

(٥) إعراب القرآن وبيانه، ٢/ ٤٦، ٤٧

يقولَ الشَّيخُ:" وَقَوْلُهُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ اعْتِرَاضٌ بَيْنَ جُمْلَةِ (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ) وَمُتَعَلِّقِ فِعْلِهَا، أَعنِي: إِذْ (تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ)[١]، وَالْفَاءُ لِلتَّفْرِيعِ وَالْفَاءُ تَقَعُ فِي الْجُمْلَةِ الْمُعْتَرِضَةِ عَلَى الْأَصَحِّ، خِلَافًا لِمَنْ مَنَعَ ذَلِكَ مِنَ النَّحْوِيِّينَ.. فَإِنَّهُ لَمَّا ذَكَّرَهُمْ بِتِلْكَ الْمِنَّةِ الْعَظِيمَةِ ذَكَّرَهُمْ بِأَنَّهَا سَبَبٌ لِلشُّكْرِ فَأَمَرَهُمْ بِالشُّكْرِ بِمُلَازَمَةِ التَّقْوَى تَأَدُّبًا بِنِسْبَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ [إِبْرَاهِيم: ٧٠]، وَمِنَ الشُّكْرِ عَلَى ذَلِكَ النَّصْرِ أَنْ يَثْبُتُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، وَامْتِثَالُ أَمْرِ النَّبِي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَأَنْ لَا تَفُلَّ حِدَّتَهُمْ هَزِيمَةُ يَوْمِ أُحُدٍ".[٢]

ويَرَى البَحْثُ أنَّ الشَّيخَ فِي هَذَا المَوضِعِ مِن السُّورَةِ أجَازَ اقْتِرانَ الجُمْلَةِ الاعْتِرَاضِيَّةِ بالفاءِ.

ولَا يَضُرّ دُخُولُهَا عَلَى جُملةِ الاعْتِراضِ، وقدْ ورَدَ ذلكَ في الفَصِيحِ عْندَ قَوْلِه–تَعَالَى–(وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ، مُدْهامَّتانِ) [٣]

فـ(مُدْهامَّتانِ): نَعْتٌ لـ(جَنّتَان) مَرْفُوعٌ، ومَا بَيْنَ النَّعْتِ والمَنْعُوتِ جُمْلَةٌ اعْتِرَاضِيّةٌ مُقْتَرِنَةٌ بالفَاءِ. [٤]

كمَا وَرَدَ هَذَا الاقْترانُ فِي أشْعَار العَرَبِ، ومِنْهُ قولُ الشَّاعِرِ:

وَاعْلَمْ فَعِلْمُ الْمَرْءِ يَنْفَعُهُ * أَنْ سَوْفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قُدِرَا**[٥]

(١) آل عمران: ١٢٤

(٢) التحرير والتنوير، ٤/ ٧٢

(٣) الرحمن: ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤

(٤) الجدول في إعراب القرآن، ٢٧/ ١٤٠، إعراب القرآن وبيانه، ٢٧/ ١٤٠

(٥) البيت من الكامل، ولم يُعرف قائله، وورد في: تمهيد القواعد، ٥/ ٢٣٥٠، همع الهوامع، ٢/ ٣٣١، المساعد على تسهيل الفوائد، ٢/ ٥٣، شرح ابن عقيل، ١/ ٣٨٧، شرح التسهيل، ٢/ ٣٧٧، شرح أبيات مغني اللبيب، ٦/ ٢٣١، شرح شذور الذهب لابن هشام، ٣٦٦

والشَّاهِدُ فِي قَولِهِ: فَعِلْمُ الْمَرْءِ يَنْفَعُه؛ فـ(عِلْمُ): مبتدأ، و(يِنْفَعُهُ) خَبَرُه، وقد اقْتَرَنَت جُمْلَةُ الاعتِرَاضِ بالفَاءِ بين (اعْلَمْ) ومَفعُولِه وهُوَ المَصْدَرُ المُؤولُ مِن "أنْ" ومَا بَعدَهَا الذِي سَدَّ مَسَدّ مَفعُوليّ "اعْلَمْ"

وقد عدَّ ابنُ هِشَام[١]، والسيوطي[٢] دُخُولَ الفَاءِ عَلَى جُملةِ الاعْتِرَاضِ مِن العَلامَاتِ المُمَيّزَةِ لَهَا عَنْ الجُمْلَةِ الحالِيَّة؛ وهُنَاكَ عَلامَاتٌ أخرَى تُميّزُهَا. منهَا: [٣]

- الجُملَةُ الاعتِراضيَّةُ لَا محَلَّ لهَا مِن الإعْرابِ، فلا تُؤوَّلُ بمفردٍ، أمَّا الجُملَةُ الحاليَّةُ فَمُعْرَبةٌ فِي مَحلِّ نَصْب وتُؤوَّلُ بمفرَدٍ.
- يَجُوزُ اقْتِرانُ الجُملَةِ الاعتِراضيَّةِ بِدَلِيل اسْتِقْبَالٍ كقولِه–تعَالى–(فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ)[٤]، أمَّا الحاليَّة فلا تَقْترنُ بِه.

فجُملةُ (وَلَنْ تَفْعَلُوا) جُمْلَةٌ مُعترضَةٌ بَينَ جُزئيّ الشَّرط. [٥]

- تَقَعُ الجُملَةُ الاعتِراضيَّةُ طلبِيَّةً فِي صُوَرٍ. منها: الأمْر، والدُعاء، والقَسَم، والاسْتِفْهَام. أمَّا الجُملَةُ الحاليَّةُ فلا تَقَعُ إلَّا خَبريَّةً.

فالأمْرُ كقولِه–تعَالى–(وَلا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ) [٦]. فجُملةُ (قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ): جُمْلَةٌ أمْريَّةٌ مُعترضَةٌ بَينَ (تُؤْمِنُوا) و(أَنْ يُؤْتى أَحَدٌ). [٧]

---

(١) مغني اللبيب، ٥٢٠

(٢) همع الهوامع، ٢/ ٣٢٧

(٣) تمهيد القواعد، ٥/ ٢٣٥٠–٢٣٥٢، المساعد على تسهيل الفوائد، ٢/ ٥٢، ٥٣، مغني اللبيب، ٣٨٦–٣٩٩، شرح التسهيل، ٢/ ٣٧٥– ٣٧٨، همع الهوامع، ٢/ ٣٢٧–٣٣١

(٤) البقرة: ٢٤

(٥) الجدول في إعراب القرآن الكريم، ١/ ٧٩

(٦) آل عمران: ٧٣

(٧) التحرير والتنوير، ٣/ ٢٨٠، ٢٨١

والدُّعاء كقَولِ ابْنِ هرْمَة:

إنَّ سُلَيْمَىَ واللهُ يَكْلَؤُهَا * ضَنَّتْ بِشَئ ما كانَ يَرْزَؤُها**(١)

فجُملةُ (واللهُ يَكلَؤُهَا): اعتِراضِيَّةٌ دُعائيَّة بينَ اسْمِ (إنَّ) وخَبَرِهَا.

والقَسَمُ كقَول رؤبة بن العجاج:

إنِّي وأَسْطارٍ سُطِرْنَ سَطْرا* لَقائِلٌ يَا نصرُ نصرٌ نَصْرا**(٢)

فجُملةُ (وأَسْطارُ): اعتِراضِيَّةٌ قَسَمِيَّةٌ بينَ اسْمِ (إنَّ) وخَبَرِهَا.

والاسْتِفْهَام كقولِه–تعَالى–(وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ) (٣)

فجُملةُ (ومَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ) اعتِراضِيَّةٌ بَيْنَ قوله(فَاسْتَغْفَرُوا) وقوله (ولَمْ يُصِرُّوا). (٤)

واللهُ–تعالى–أعلى وأعلم

****

(١) البيت من المَنْسَرح، وورد في: شرح التسهيل،٢/ ٣٨٧، ارتشاف الضرب، ٣/ ١٦١٦، مغني اللبيب، ٥٠٨

(٢) الرَجَز لرؤبة بن العجاج في ديوانه،١٧٤، مغني اللبيب، ٥٠٨، الأصول في النحو،١/ ٣٣٥، شرح المفصل،١/ ٣٢٧

(٣) آل عمران: ١٣٥

(٤) التحرير والتنوير، ٤/ ٩٣

- **الموضع الرابع عشر: قال–تعالى–﴿لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خائِبِينَ، لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ﴾** (١)

الجملة الاعتراضية:

قوله–تعالى–(لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ): (ليس) فعل ماض ناقص، و(لك) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (ليس) المقدم، و(من الأمر) جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، و(شيء) اسم (ليس) المؤخر(٢)، والجملة اعتراضية عند الطاهر بن عاشور. (٣)

الدراسة:

اخْتُلِفَ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ عَلَى أَقْوَالٍ منهَا: (٤)

- **الأَوَّلُ:** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، حتَّى جَرَت الدِّماء عَلَى وَجْهِهِ الشَّريفِ، فَجَعَلَ يَسْلِتُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقُولُ: "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهِمْ وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟" فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) لِعِلْمِهِ أَنَّ كثيرًا منهم سيؤمِنُونَ، فَكَفَّ عن ذلك.
- **الثَّانِي:** لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ فُلَانًا وَفُلَانًا نَاسًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ –(لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ).

(١) آل عمران: ١٢٧، ١٢٨

(٢) إعراب القرآن وبيانه، ٢/ ٥١

(٣) التحرير والتنوير، ٤/ ٧٩

(٤) أسباب النزول، ١/ ٥٠٣– ٥٠٥، تفسير الطبري، ٦/ ٤٤، تفسير البغوي، ١/ ٥٠٥

وذهب المعربون- فيما اطلعت عليه- إلى أنَّ الجُملَةَ الكريمة (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) استئنافيّة.(١)

وخَالَفَهُم الطاهرَ بن عاشور وذَهَبَ إلَى أنَّها جُملَةٌ اعْتِرَاضيَّةٌ بَيْنَ المَعْطُوفِ وَالمَعْطُوفِ عَلَيْهِ، أي: بين قوله -تعالى-(لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خائِبِينَ)، وقوله -تعالى-(أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ) أَيْ: أَنَّ اللَّهَ مَالِكُ أَمْرِهِمْ يَصْنَعُ بِهِمْ مَا يَشَاءُ مِنَ الْإِهْلَاكِ، أَوِ الْهَزِيمَةِ، أَوِ التَّوْبَةِ إِنْ أَسْلَمُوا، أَوِ العَذَابِ. والمُخاطَبُ رسُولُ الله-صلَّى الله عليه وسلَّم- (٢)

وعَليهِ الفرّاء(٣)، والطبريّ(٤)، والزّجاج(٥)، وأبو حيان(٦)، والسَّمين الحلبيّ(٧)، الحلبيّ(٧)، وابن كثير(٨)، وابن عادل الحنبليّ.(٩)

ثُمَّ شَرَعَ فِي بَيَانِ مَا حَوتْهُ دَقَائِقَ الجُملَةِ السَّامِيَةِ فِي جَمَالِ السَّبْكِ وفَصَاحَةِ النَّظْمِ ولُطْفِ الدَّلَالَةِ عَلَى النَّحوِ التَّالي:

- بيَّنَ الشَّيخُ أنَّ الغَرَضَ الدَّلاليّ الذي سِيقَتْ مِنْ أجْلِهِ الجُملةُ الاعْتِرَاضِيَّة فِي هَذَا الموضِعِ المُحَدَّدِ مِن الآيةِ هَوَ إِظْهَارُ أَنَّ الْمُرَادَ من لَفْظِ (الأمرِ) هُوَ الْأَمْرُ الدَّائِرُ بَيْنَ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْأَرْبَعَةِ مِنْ أَحْوَالِ المُشْرِكِينَ:(لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ

(١) الجدول في إعراب القرآن، ٤/ ٣٠٦، إعراب القرآن وبيانه، ٢/ ٥١
(٢) التحرير والتنوير، ٤/ ٧٩
(٣) معاني القرآن للفراء، ١/ ٢٣٤
(٤) تفسير الطبري، ٦/ ٤٢
(٥) معاني القرآن وإعرابه، ١/ ٤٦٨
(٦) البحر المحيط، ٣/ ٣٣٨
(٧) الدر المصون، ٣/ ٣٩١
(٨) تفسير ابن كثير، ٢/ ٩٩
(٩) اللباب في علوم الكتاب، ٥/ ٥٣٠

الَّذِينَ كَفَرُوا) (أَوْ يَكْبِتَهُمْ) (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) (أَوْ يُعَذِّبَهُمْ) أَيْ: لَيْسَ لَكَ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْأَرْبَعَةِ شَيْءٌ وَلَكِنَّهُ مَوْكُولٌ إِلَى اللَّهِ، هُوَ أَعْلَمُ بِمَا سَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ.

وكأنَّ نَظْمَ الآيَةِ: لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ، لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، بَلِ الْأَمْرُ أَمْرِي فِي ذلك كله.

يقولُ الشيخُ: " (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) مُعْترضَةٌ، وَوُضِعَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ بَيْنَ الْمُتَعَاطِفَاتِ لِيَظْهَرَ أَنَّ الْمُرَادَ من الْأَمر هُوَ الْأَمْرِ الدَّائِرِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْأَرْبَعَةِ مِنْ أَحْوَالِ الْمُشْرِكِينَ، أَيْ لَيْسَ لَكَ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْأَرْبَعَةِ شَيْءٌ وَلَكِنَّهُ مَوْكُولٌ إِلَى اللَّهِ، هُوَ أَعْلَمُ بِمَا سَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ".(١)

- ومَلْمَحٌ دَلالِيٌّ لَطِيفٌ يُوضِّحهُ الشيخُ في إيرَادِ هَذَا الاعْتِرَاض قَبْلَ قولِهِ: (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) لا بَعْدَهُ.

وهو: اسْتِئْنَاسٌ لِلنَّبِي–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–حيثُ قدَّمَ اللهُ مَا يدلُّ عَلَى انتِقَامِهِ مِن المُشركينَ لأجلِ رسُولهِ وحبِيبِه –صَلَّى اللهُ علهِ وسلَّمَ–فَقَال: (لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ)، ثمَّ ذَكَر مَا يدُلُّ عَلَى رَحْمَتِهِ وعَفْوِه سُبْحَانَهُ فقال (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ)، ثُمَّ خَتَمَهَا بِمَا يَدُلُّ عَلَى عِقَابِهِمْ (أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ).

يقولُ الشيخُ:" وَجَعَلَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ –يَعْنِي: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ– قَبْلَ قَوْلِهِ (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) اسْتِئْنَاسٌ لِلنَّبِي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، إِذْ قَدَّمَ مَا يَدُلُّ عَلَى الِانْتِقَامِ مِنْهُمْ لِأَجْلِهِ، ثُمَّ أَرْدَفَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى الْعَفْوِ عَنْهُمْ، ثُمَّ أَرْدَفَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى عِقَابِهِمْ، فَفِي بَعْضِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ إِرْضَاءٌ لَهُ مِنْ جَانِبِ الِانْتِصَارِ لَهُ، وَفِي

(١) التحرير والتنوير، ٤/ ٨٠

بَعْضِهَا إِرْضَاءٌ لَهُ مِنْ جَانِبِ تَطْوِيعِهِمْ لَهُ. وَلِأَجْلِ هَذَا الْمَقْصِدِ عَادَ الْكَلَامُ إِلَى بَقِيَّةِ عُقُوبَاتِ الْمُشْرِكِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: أَوْ يُعَذِّبَهُمْ".[١]

- وذَهَبَ الشَّيخُ إلى أنَّ اللَّامَ الجَارَّة في قولِه: (لكَ) هي لَامُ المِلْكِ، وَكَافُ الخِطَابِ لِمُعَيَّنٍ، وَهُوَ الرَّسُولُ-عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.
- وأشَارَ الشَّيخُ إلى أنَّ الجُملَةَ السَّاميَةَ: "لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ" تَجْري مَجرَى المَثَل، واعْتبَرهَا مِنْ "مُبتَكَراتِ القرآنِ الكريم".

يقول الشيخ:" وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ-يقصد: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ -تَجْرِي مَجْرَى الْمَثَلِ؛ إِذْ رُكِّبَتْ تَرْكِيبًا وَجِيزًا مَحْذُوفًا مِنْهُ بَعْضُ الْكَلِمَاتِ، وَلَمْ أَظْفَرْ، فِيمَا حَفِظْتُ مِنْ غَيْرِ الْقُرْآنِ، بِأَنَّهَا كَانَتْ مُسْتَعْمَلَةً عِنْدَ الْعَرَبِ، فَلَعَلَّهَا مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ، وَقَرِيبٌ مِنْهَا قَوْلُهُ:(وَما أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) [٢]، وقوله:(يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ) [٣]، وقوله:(ويَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنا هاهُنا) [٤] ." [٥]

ويَرَى البَحثُ أنَّ الطاهر بن عاشور أوَّلُ مَن ابْتَكَرَ مُصْطَلَحَ: "مُبْتَكَرَاتِ القُرْآن"، فَلمْ يَردْ عِندَ العُلَماءِ قبلَهُ -فِيمَا اطَّلَعتُ عَلَيهِ- وقَد أَفرَدَ الشَّيخُ لهَذَا المُصطَلَحِ مَبْحَثاً مُسْتقِلّاً ضِمنَ الحَديثِ عنْ إعْجَازِ القرآنِ فِي المُقدّمَةِ العاشِرَةِ مِنْ تَفْسِيرِه. [٦] **والله-تعالى-أعلى وأعلم**

****

(١) المرجع السابق، ٤/ ٨٠
(٢) الممتحنة: ٤
(٣) آل عمران: ١٥٤
(٤) آل عمران: ١٥٤
(٥) التحرير والتنوير، ٤/ ٨٣
(٦) المرجع السابق، ١/ ١٢٠- ١٢٤

- **الموضع الخامس عشر: قال–تعالى–﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** (١)

الجملة الاعتراضية:

قوله (وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ): (الواو) استئنافية، و(مَنْ) استفهامية، ومعنى الاستفهام هنا: النفي و(مَنْ) في محل رفع مبتدأ، وجملة (يغفر) خبره، و(الذنوب) مفعول به، و(إلَّا) أداة حصر، و(الله) بدل من الضمير في (يغفر) أي مِنْ الفاعل المستتر (٢)، والجُملةُ اعْتِراضِيَّةٌ عند الطاهر بن عاشور.(٣)

الدراسة:

اختُلِفَ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ علَى أقْوالٍ. منها: (٤)

- **الأوَّل:** نَزَلتْ فِي شَأنِ رَجُلٍ تَمَّار، جَاءَت امْرَأةٌ تَشْتَرِي مِنْهُ تَمْرَاً، فَأدْخَلَهَا فِي حَانُوتِهِ وقَبَّلَهَا ثُمَّ نَدِمَ.
- **الثَّانِي:** نَزَلَت فِي شَأْنِ رَجُلٍ مَسّ امْرَأةَ أخِيهِ فِي اللهِ، وكَانَ أخُوهُ خَرَجَ غَازِيَاً، ثُمَّ نَدِمَ وَتَابَ.
- **الثَّالث:** قَالَ المُؤْمِنُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَّا، كَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا أَذْنَبَ أَصْبَحَتْ كَفَّارَةُ ذَنْبِهِ مَكْتُوبَةً فِي عَتَبَةِ بَابِهِ، اِجْدَع أَنْفَكَ أو أُذُنَك، اِفْعَلْ كَذَا وَكَذَا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَأَنْزَلَ اللَّهُ –تَعَالَى–هَذِهِ الآيَةَ.

---

(١) آل عمران: ١٣٥

(٢) إعراب القرآن للباقولي، ٣/ ٨٦١، إعراب القرآن وبيانه، ٥٦/٢

(٣) التحرير والتنوير، ٤/ ٩١، الكشاف، ١/ ٤١٦، التفسير الوسيط، ٢/ ٢٦٥،

(٤) تفسير السمرقندي، ١/ ٢٤٨، المحرر الوجيز، ١/ ٥١٠

ومِن المُعْربين–فيمَا اطَّلعتُ– مَنْ أجَازَ أنْ تكونَ الجُملَةُ الكريمةَ (وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ) اعْتِرَاضِيَّةً أو حَالِيَّةً [١]، ومِنْهُم مَنْ ذهَبَ إلى أنَّها اسْتِئنَافيَّة. [٢]

وَذَهَبَ الطاهرُ بن عَاشور إلى أنَّ الجُمْلةَ الكرِيمةَ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ، أي: بَيْنَ جُمْلَةِ (فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ) وَجُمْلَةِ (وَلَمْ يُصِرُّوا عَلى مَا فَعَلُوا).

والغَرَضُ مِنْهَا هُوَ تَصْويبٌ لِفِعلِ التَّائبين، وتَطْييبٌ لِقُلوبهم، وبشَارةٌ لَهُم بِسِعَةِ الرَّحمَةِ وقُربِ المَغفرة، وأنَّ مِنْ كَرمِهِ أنَّ التَّائِبَ مِن الذَّنبِ عِنْدَهُ كَمَنْ لا ذَنْبَ لَه، وأنَّ العَبدَ إذا التَجَأ إليهِ، وابْتَعَدَ عَن الذنْبِ بأقْصَى مَا يقدِرُ عَليه عَفَا اللهُ عَنْهُ وتَجَاوز عَنْ ذُنوبه وإنْ جَلَّت، فإنَّ عَفْوَهُ أجَلُّ وكَرَمُه أعْظَم، كما أنَّ فيها تَحْريضاً لِلعِبَاد عَلَى التَّوبةِ وحَثّاً لَهُم عَلَيها، وتَحْذِيرا مِن اليَأسِ والقُنُوطِ.

يقُولُ الشَّيخُ:" وَجُمْلَةُ (وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ) مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ جُمْلَةِ فَاسْتَغْفَرُوا وَجُمْلَةِ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلى مَا فَعَلُوا". [٣]

وهُوَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابنُ عطيَّة[٤]، والفَخْرُ الرَّازيّ[٥]، والمُنتَجب الهَمَذانِي[٦]، والزَّمخشريّ[٧]، والبيضَاويّ[١]، وأبو حيَّان الأندَلسيّ[٢]، والسَّمين الحلبيّ[٣]، وابن وابن عادل الحنبليّ[٤]، والآلوسي[٥]

(١) الجدول في إعراب القرآن، ٤/ ٣١٢
(٢) إعراب القرآن للدعاس، ١/ ١٦١
(٣) التحرير والتنوير، ٤/ ٩٣
(٤) المحرر الوجيز، ١/ ٥١٠
(٥) مفاتيح الغيب، ٩/ ٣٦٩
(٦) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، ٢/ ١٣١
(٧) الكشاف، ١/ ٤١٦

ثُمَّ ذَكَرَ الطاهرُ بن عاشور مَلْمَحًا دَلالِيًّاً لطيفاً في هَذَا الاعْتِرَاض، وهُوَ الغرضُ مِن الِاسْتِفْهَامُ.

فذَكَرَ أنَّه اسْتِفْهَامُ فِي مَعْنَى النَّفْيِ، وتقديره فِي الآيَةِ: مَا يَغْفِرُ الذنوبَ أَحَدٌ إلّا اللهُ. ولذلكَ رُفِعَ لفظُ الجَلالةِ. فليسَ بيَدِ الأصْنامِ شيءٍ مِن الشَّفاعَةِ، ولا بيدِ عيسَى شيءٌ مِن مَحوِ الخطايَا، ولَا أَحَدَ يَقبَلُ تَوبةَ التَّائبِين، ويَغْفرُ ذُنوبَ المُذنِبين، ويَمْسَحُ خَطَايَاهم إلَّا اللهُ العَلِيُّ الكَبيرُ الذِي يَبْسُطُ يَدَهُ بالليلِ لِيتوبَ مُسِيءُ النَّهارِ، ويَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهارِ لِيَتوبَ مُسِيءُ الليلِ، وَيتوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَاب.

يقولُ الشَّيخُ:"وَالِاسْتِفْهَامُ مُسْتَعْمَلٌ فِي مَعْنَى النَّفْيِ، بِقَرِينَةِ الِاسْتِثْنَاءِ مِنْهُ، وَالمَقْصُودُ تَسْدِيدُ مُبَادَرَتِهِمْ إِلَى اسْتِغْفَارِ اللَّهِ عَقِبَ الذَّنْبِ، وَالتَّعْرِيضُ بِالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَصْنَامَهُمْ شُفَعَاءَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، وَبِالنَّصَارَى فِي زَعْمِهِمْ أَنَّ عِيسَى رَفَعَ الْخَطَايَا عَنْ بَنِي آدَمَ بِبَلِيَّةِ صَلْبِهِ".(٦)

وعليهِ: الفرَّاءُ(٧)، والباقولي(٨)، وأبو البقاء العكبري(٩)، وأبو حيان الأندلسيّ.(١٠)

=

(١) تفسير البيضاوي، ٢/ ٣٩، حاشية الطيبي على الكشاف، ١٣/ ٤٠٩،

(٢) البحر المحيط، ٣/ ٣٤٩

(٣) الدر المصون، ٣/ ٣٩٧

(٤) اللباب في علوم الكتاب، ٥/ ٥٤٥

(٥) روح المعاني، ٢/ ٢٧٥

(٦) التحرير والتنوير، ٤/ ٩٣

(٧) معاني القرآن للفراء، ١/ ٢٣٤

(٨) إعراب القرآن للباقولي، ٣/ ٨٦١

(٩) التبيان في إعراب القرآن، ١/ ٢٩٣

(١٠) تذكرة النحاة، ٢٩٦

وَجُمْلَةُ الاعْتِراضِ (وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ) فِيهَا تَرْفِيقٌ لِلنَّفْسِ، وَدَاعِيَةٌ إِلَى رَجَاءِ اللَّهِ وَسِعَةِ عَفْوِهِ، وَاخْتِصَاصِهِ سُبْحَانه بِغُفْرَانِ الذَّنْبِ. (١)

يقُولُ الزَّمخشريُّ:" (وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ) وَصْفٌ لِذَاتِهِ بِسِعَةِ الرَّحْمَةِ وَقُرْبِ المَغْفِرَةِ، وَأَنَّ التَّائِبَ مِنَ الذَّنْبِ عِنْدَهُ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا مَفْزَعَ لِلْمُذْنِبِينَ إِلَّا فَضْلُهُ وَكَرَمُهُ، وَأَنَّ عَدْلَهُ يُوجِبُ الْمَغْفِرَةَ لِلتَّائِبِ، وَفِيهِ تَطْيِيبٌ لِنُفُوسِ العِبَادِ، وَتَنْشِيطٌ لِلتَّوْبَةِ وَبَعْثٌ عَلَيْهَا، وَرَدْعٌ عَنِ اليَأسِ وَالْقُنُوطِ. وَأَنَّ الذُّنُوبَ وَإِنْ جَلَّتْ فَإِنَّ عَفْوَهُ أَجَلُّ، وَكَرَمَهُ أَعْظَمُ".(٢) **والله-تعالى-أعلى وأعلم**

****

- **الموضِعُ السَّادِسُ عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر: قال-تعالى-﴿ وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَاّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾** (٣)

الجملة الاعتراضية:

قوله (وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَاّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً): (الواو) عاطفة، و(ما) نافية، و(كان) فعل ناقص، و(لنفس) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف خبر (كان) مقدَّم، و(أنْ) حرف مصدري ونصب، و(تموت) مضارع منصوب والفاعل مستتر تقديره هي، والمصدر المؤوّل (أنْ تَمُوتَ) في محلّ رفع اسم (كان)، و(إلَّا) أداة حصر، و(بإذن) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف حال من فاعل (تَمُوت) أي: تَموتَ مُنتهياً أجلُها بإذنِ اللهِ، و(الله) مضاف إليه مجرور، و(كتابا) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: كَتَبَ ذَلِكَ كِتَاباً، و(مؤجلا) نعت منصوب والجملة لا محلّ لها معطوفة على الاستئنافيّة في قوله(وَسَيَجزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ)(٤)،

(١) البحر المحيط، ٣/ ٣٤٩

(٢) الكشاف، ١/ ٤١٦ بتصرف

(٣) آل عمران: ١٤٥

قوله(وَسَيَجزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ)[١]، وقوله (وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها): لا محلّ لها من الإعراب معطوفة على الاستئنافيّة، وقوله (وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها) وقوله (وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) جملتان معطوفتان على الاستئنافيّة[٢]، والآيةُ كُلُّهَا اعْتِرَاضٌ عند الطاهر بنِ عاشور. [٣]

الدِّرَاسة:

الكلام في الآية موصول بالآيات قبلها، ففي الآيات السابقة أشار –سبحانه– إلى اضطراب بعض المؤمنين عندما بلغهم كذبا أنَّ النبيَّ قد قُتِلَ، فضعفت نفوس، واضطربت عقول، فبين الله أنَّ محمدًا رسولٌ من البشر، وأنه يموت كما يموت سائر البشر، وأنَّ له أجلا ملموسا، وأنَّ الدعوة الإسلامية كاملةٌ ما دام النبيُّ قد بلَّغها وأتمَّ تبليغها، وبهذا أتمَّ ما عهد إليه، فإذا مات حمل هذه الأمانة مَن بعدُه ونقلوها إلى الأخلاف، ثم أشار –سبحانه– إلى أنَّ النفوس جميعها بيد الله، وأنَّه سبحانه قد جعل لكل أجل كتابا. [٤]

وقوله (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا) أَيْ: لَا يَمُوتُ أَحَدٌ إِلَّا بِقَدَرِ اللَّهِ وَحَتَّى يَسْتَوْفِيَ الْمُدَّةَ الَّتِي ضَرَبَهَا اللَّهُ لَهُ، وقوله (وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها) في الجملة تعريض لمَنْ شغلتهم الغنائم يوم أحد، فإنَّ المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم وأخذوا ينهبون، فلما رأى الرماة ذلك أقبلوا على النَّهب وخَلُّوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم،

(١) آل عمران: ١٤٤

(٢) إعراب القرآن للدعاس، ١/ ١٦٣، ١٦٤، روح المعاني، ٢/ ٢٨٩، الجدول في إعراب القرآن، ٤/ ٣٢٦، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ٢، ٦٥، ٦٦

(٣) التحرير والتنوير، ٤/ ١١٤

(٤) زهرة التفاسير، ٣/ ١٤٣٤

وقولـه(وَمَنْ يُـرِدْ ثَـوابَ الْآخِـرَةِ نُؤْتِـهِ مِنْـها) أي: مـن ثوابهـا. (وَسَـنَجْزِي الشَّـاكِرِينَ) الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد.(١)

فهذه الآيةُ الكريمة تؤكِّد مَعْنَيَين:

- **أحدهما:** أنَّ المَوتَ بالإرادةِ الأزليَّة، وبالمَشيئةِ الإلهِيَّة، فمَا لَمْ يَأذنْ فَلا مَوتَ.
- **الثاني:** أنَّ القتالَ مَهمَا يكُنْ شَديدًا فَلَنْ تموتَ نَفْسٌ لَمْ يَكتُب اللهُ –تَعَالى– لَهَا المَوتَ. (٢)

وذَهبَ المُفسِّرون إلى أنَّ الآيةَ الكريمَةَ اشتَمَلَت علَى كثيرٍ مِن الحَقائق والإشَارات. منها:

١– أنَّ الموت لَا يحتاج بالنسبة لله تعالى إلى أسباب، فليس إلا أنْ يأذن بقبض الروح فيكون الموت

٢– تحريضُ المؤمنين على الجهاد، وتشجيعهم على لقاء الأعداء، فإنَّ الحذر والحرص على الحياة لَا يمنعان ما قدَّر الله تعالى، فإذا كان قد أذن للنفوس أن تلقى ربها فلا مانع يمنعها، ولا دافع يدفع عنها أسباب المنايا.

٣– الإشارة إلى حفظ الله تعالى لنبيه – ﷺ – وقد تربص به الأعداء، وأحاطوا به من كل جانب، ولكن الله تعالى أحاطه بكلاءته وعنايته.

٤– بيان أن الله تعالى قابض نبيه – ﷺ – مهما يطل الأمد أو يقصر. (٣)

وذهَبَ المعربون –فيمَا اطَّلعتُ عليهِ– إلى أنَّ الآيةَ الكَريمةَ مُكونةٌ مِنْ أربعِ جُملٍ استِئنَافيَّة:

---

(١) تفسير البيضاوي: ٢/ ٤١

(٢) زهرة التفاسير، ٣/ ١٤٣٥

(٣) البحر المحيط، ٣/ ٣٦٥، مفاتيح الغيب، ٩/ ٣٧٧، زهرة التفاسير، ٣/ ١٤٣٥، تفسير ابن كثير، ٢/ ١١٣

(وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَاّ بِإِذْنِ اللَّهِ) (وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها) (وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها) (وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ). (١)

وذهبَ الطَّاهرُ بن عاشور إلى أنَّ الجملةَ الكريمةَ (وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَاّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً) جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ، وَالوَاو اعتراضية. ثمَّ شَرَعَ في بَيَانِ مَا حَوتْهُ جُمْلَةُ الاعتِراضِ مِن أسرَارٍ ودَقائقَ ودَلالاتٍ لَطِيفَة جاءَت عَلَى النَّحو التَّالي:

- ذَكَرَ الشيخُ أنَّ لهَذِهِ الآيةِ احْتِمَالين جَائِزين ولِكُلّ منهُما مَعانيهِ:

الأوَّلُ: إنْ كَانَت الآيَةُ مِنْ تَتِمَّةِ الإنْكَارِ عَلَى هَلَعِهِمْ عِنْدَ ظَنّ مَوْتِ الرَّسُولِ، فَهَذَا يَعْنِي:

- أنَّ المَقْصُود بقولِه (لِنَفْسٍ) العمومُ، أي: عُمُومُ الْأَنْفُسِ، لَا خُصُوصُ نَفْسِ الرَّسُولِ– عَلَيْهِ السَّلَامُ–
- وأنْ الغَرَضَ مِن الاعْتِرَاضِ هُوَ لَوْمُ المُسْلِمِينَ عَلَى ذُهُولِهِمْ عَنْ حِفْظِ اللَّهِ لرَسُولِهِ مِنْ أعدائِهِ.
- وأنَّ الجُمْلَةَ الكريمةَ (وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَاّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً) فِي مَوْضِعِ النَّصبِ على الحَالِ، وَ(الوَاوُ) وَاوُ الحَالِ.

الثَّاني: إنْ كَانَت الآيةُ إنْكَارًا مُسْتَأْنَفًا عَلَى الَّذِينَ فَزِعُوا عِنْدَ الْهَزِيمَةِ وَخَافُوا المَوْتَ، فهَذا يعْنِي:

- أنَّ العُمُومَ فِي (النَّفس) مَقْصُودٌ، أي: كُلُّ نَفْسٍ، وأنَّ الجُمْلَةُ، مُعْتَرِضَةٌ، وَ(الوَاوُ) اعْتِرَاضِيَّةٌ.

(١) إعراب القرآن للدعاس، ١/ ١٦٣، ١٦٤، روح المعاني، ٢/ ٢٨٩، الجدول في إعراب القرآن، ٤/ ٣٢٦، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ٢، ٦٥، ٦٦

- والغَرَضُ مِن الاعْتِرَاضِ هُوَ عَدَمُ الخَوْفِ مِن المَوتِ؛ لأَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ أَجَلًا مُحدَّداً.
- المُرَادُ بقولِهِ (بِإِذْنِ اللَّهِ) هو وَقْتُ المَوْتِ.
- عَبَّرَ –سبحانه وتعالى– عن الإرادة بـ(الإذن) فِي دَلالَةٍ للإشارة إلى أنه إذا كان القتل في الحروب سببا للموت، فإنه ما دام لم يجئ الإذن الذي يُعلِنُ مشيئةَ الله –تعالى– وإرادته فإن المقاتلين مهما يكونوا أقوياء لَا يمكن أن يصيبوا نفسا لم يشأ الله –تعالى– قتلها. (١)
- ذَهَبَ الشيخُ إلى أنَّ قولَه –تَعَالى– (وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها) وقوله (وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها)، وقوله (وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) عَطْفٌ عَلَى الجُمْلَةِ الْمُعْتَرِضَةِ.

يقول الشيخ:" (وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتاباً مُؤَجَّلًا) جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ، وَالْوَاو اعتراضية، فَإِن كَانَت مِنْ تَتِمَّةِ الْإِنْكَارِ عَلَى هَلَعِهِمْ عِنْدَ ظَنِّ مَوْتِ الرَّسُولِ، فَالْمَقْصُودُ عُمُومُ الْأَنْفُسِ لَا خُصُوصُ نَفْسِ الرَّسُولِ– عَلَيْهِ السَّلَامُ–، وَتَكُونُ الْآيَةُ لَوْمًا لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى ذُهُولِهِمْ عَنْ حِفْظِ اللَّهِ رَسُولَهُ مِنْ أَنْ يُسَلَّطَ عَلَيْهِ أَعْدَاؤُهُ، وَمِنْ أَنْ يُخْتَرَمَ عُمُرُهُ قَبْلَ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ. وَإِنْ كَانَ هَذَا إِنْكَارًا مُسْتَأْنَفًا عَلَى الَّذِينَ فَزِعُوا عِنْدَ الْهَزِيمَةِ وَخَافُوا الْمَوْتَ، فَالْعُمُومُ فِي النَّفس مَقْصُود أَي مَا كَانَ يَنْبَغِي لَكُمُ الْخَوْفُ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ أَجَلًا. فَالْجُمْلَةُ، عَلَى هَذَا، مُعْتَرِضَةٌ، وَالْوَاوُ اعْتِرَاضِيَّةٌ، وَمِثْلُ هَذِهِ الْحَقَائِقِ تُلْقَى فِي الْمَقَامَاتِ الَّتِي يُقْصَدُ فِيهَا مُدَاوَاةُ النُّفُوسِ مِنْ عَاهَاتٍ ذَمِيمَةٍ، وَإِلَّا فَإِنَّ انْتِهَاءَ الْأَجَلِ مَنُوطٌ بِعِلْمِ اللَّهِ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ وَقْتَهُ، (وَما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ)(٢)، (وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا

(١) زهرة التفاسير، ٣/ ١٤٣٥

(٢) لقمان: ٣٤

نُؤْتِهِ مِنْها وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ). عَطْفٌ عَلَى الْجُمْلَةِ الْمُعْتَرِضَةِ".(١)

ويَرَى البحثُ أنَّ الشيخَ في هذا الموضِع مَن السُّورةِ قدْ أجازَ اجْتَمَاعَ أربَعِ جُمَلٍ اعْتِراضِيَّةٍ فِي آيةٍ وَاحِدَةٍ.

وقد سَبَقَ الحَديثُ عَن اختِلافِ النَّحويينَ فِي عَدَدِ الجُمَلِ الاعْتِراضِيَّة عَلَى ثلاثَةِ آراء، وأنَّ الطاهرَ بن عاشور مؤيِّدٌ للَفريقِ الثَّالثِ الذِي يُجيزُ الاعْتِراضَ بأكْثَر مِن جُمْلَتين. (٢)

والله–تعالى–أعلى وأعلم

****

- **المَوضِعُ العشرون:قال–تعالى–﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** (٣)

الجملة الاعتراضية:

قوله (وَطائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ): (الواو) استئنافية، و(طائفة) مبتدأ وساغ الابتداء به لوصفه بمحذوف دلَّ عليه السياق. أي: مِنْ غيركم. بدليل (يغشى

(١) التحرير والتنوير، ٤/ ١١٥

(٢) ينظر الموضع الثالث والرابع من الدراسة.

(٣) آل عمران: ١٥٤

طائفة منكم)، وجملة (قد أهمتهم أنفسهم) هي الخبر والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حال المنافقين.

و(يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجاهِلِيَّةِ): جملة (يظنون) حالية من الهاء في (أهمتهم)، ويجوز جعل (قد أهمتهم أنفسهم) صفة وجملة (يظنون) هي الخبر، و(بالله جار) ومجرور متعلقان بـ(يظنون)، و(غير الحق) صفة لمفعول مطلق محذوف والمعنى: يظنون بالله غير الظنّ الحقّ الذي يجب أن يساور النفوس، و(ظن الجاهلية) بدل من (غير الحق) أو منصوب على المصدرية التشبيهية أي: ظنا مثل ظنّ الجاهلية أو منصوب بنزع الخافض، وعلى هذا لم يذكر لـ(يظنون) مفعولين، وتكون (الباء) ظرفية، وإذا كان ذلك كذلك لم تتعدّ (ظننت) إلى مفعولين.

و(يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ) جملة (يقولون) بدل من جملة (يظنون)، و(هل) حرف استفهام إنكاري معناه النفي أي: ليس لنا و(لنا) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و(من الأمر) جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لـ(شيء) ثم تقدمت الصفة على الموصوف فأعربت حالا، و(من) حرف جر زائد، و(شيء) مجرور بـ(من) لفظا في محل رفع مبتدأ مؤخر والجملة مقول القول.

و(قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ) الجملة معترضة، و(إنَّ) واسمها، و(كله) تأكيد لـ(الأمر) لأنه يتجزأ، و(لله) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ) والجملة في محل نصب مقول القول.

و(يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ما لا يُبْدُونَ لَكَ) جملة (يخفون) حال من ضمير (يقولون)، أي: يقولون فيما بينهم متسارّين، و(في أنفسهم) جار ومجرور متعلقان بـ(يخفون)، و(ما) اسم موصول مفعول به، و(لا) نافية، وجملة (يبدون) لا محل لها؛ لأنها صلة (ما)، و(لك) جار ومجرور متعلقان بـ(يبدون).

و(يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا) جملة (يقولون) مستأنفة مسوقة لبيان ما قبله، ولتكون بمثابة شروع في الحديث عنهم مجددا تطرية لنشاط السامع واسترعاء لانتباهه، و(لو) شرطية، و(كان) فعل ماض ناقص، و(لنا) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (كان) المقدم، و(من الأمر) جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، و(شيء) اسم (كان) المؤخر، و(ما) نافية، و(قتلنا) فعل ماض مبني للمجهول، و(نا) نائب فاعل، وجملة (ما قتلنا) لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، و(هاهنا) الهاء للتنبيه، و(هنا) اسم اشارة في محل نصب ظرف مكان متعلق بـ(قتلنا).

و(قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان أنَّ الآجال مكتوبة وأنهم لو أقاموا في المدينة لحدثت لهم أسباب يخرجون فيها لملاقاة حتوفهم وأنهم إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

و(لو) شرطية، و(كنتم) كان واسمها، و(في بيوتكم) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر والجملة في محل نصب مقول القول.

و(لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِمْ): (اللام) واقعة في الجواب، و(برز الذين) فعل وفاعل والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وجملة (كتب عليهم القتل) صلة (الذين)، و(إلى مضاجعهم) جار ومجرور متعلقان بـ(برز) أي: إلى مصارعهم.

و(وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ ما فِي صُدُورِكُمْ): (الواو) عاطفة على محذوف تقديره: وفعل ما فعله في أحد لمصالح جمة، و(ليبتلي) اللام للتعليل، و(يبتلي) فعل مضارع منصوب بـ(أنْ) مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بالفعل المحذوف. أي: فعل ذلك. لمصالح تجهلونها وليبتلي ما في الصدور، و(ما) اسم موصول مفعول به، و(في صدوركم) جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له؛ لأنه صلة الموصول.

و(وَلِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ): عطف على (ليبتلي ما في صدوركم)، (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ): (الواو) استئنافية، والجملة مستأنفة؛ لتأكيد عِلمه –تعالى– بالسرائر والكوامن، و(الله) مبتدأ، و(عليم) خبر، و(بذات الصدور) جار ومجرور متعلقان بـ(عليم). [١]

وهذا الجُزْءُ مِن الآيَةِ اعْتِرَاضٌ عند الطاهر بن عاشور[٢] بينَ قوله –تَعالى–(ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ) وقوله –تَعَالى–(إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ). [٣]

الدراسة:

تحَدَّثت الآيَةُ عَنْ فريقَين كَانَا مَعَ الرَّسُولِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَوْمَ أُحُدٍ.

الأَوَّلُ: المُؤمنُون الَّذِينَ كَانُوا جَازِمِينَ بِأَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَكَانُوا قَدْ سَمِعُوا مِنَ النَّبِيِّ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَنْصُرُ هَذَا الدِّينَ وَيُظْهِرُهُ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ، فَكَانُوا مُتَأَكِّدِينَ بِأَنَّ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ لَا تُؤَدِّي إِلَى الِاسْتِئْصَالِ، فَلَا جَرَمَ كَانُوا آمِنِينَ. وَبَلَغَ ذَلِكَ الْأَمْنُ إِلَى حَيْثُ غَشِيَهُمُ النُّعَاسُ، فَإِنَّ النَّوْمَ لَا يَجِيءُ مَعَ الخَوْفِ، فَمَجِيءُ النَّوْمِ يَدُلُّ عَلَى زَوَالِ الخَوْفِ بِالْكُلِّيَّةِ.

الثَّانِي: المُنَافِقُونَ وهُمُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ وَأَصْحَابُهُ، فقَدْ كَانُوا شَاكِّينَ فِي نَبُوتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَمَا حَضَرُوا إِلَّا لِطَلَبِ الْغَنِيمَةِ، فَهَؤُلَاءِ اشْتَدَّ جَزَعُهُمْ وَعَظُمَ خَوْفُهُمْ. وكَانَ هَمُّهُمْ خَلَاصَ أَنْفُسِهِمْ.

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، ٢/ ٧٦ – ٧٩، الجدول في إعراب القرآن الكريم، ٤/ ٣٤١– ٣٤٥

(٢) التحرير والتنوير، ٤/ ١٣٧

(٣) آل عمران: ١٥٥

وظَنُّ الفَرِيقُ الثَّانِي بِاللَّهِ غَيْرَ الظَّنِّ الْحَقِّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُظَنَّ بِهِ، وقالوا: هَلْ لَنَا مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي كَانَ يَعِدُنَا بِهِ مُحَمَّدٌ؟ وَهُوَ النُّصْرَةُ وَالقُوَّةُ شَيْءٌ. وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ، وَكَانَ غَرَضُهُمْ مِنْهُ الِاسْتِدْلَالَ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ مُحَمَّدًا –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَانَ كَاذِبًا فِي ادِّعَاءِ النُّصْرَةِ وَالْعِصْمَةِ مِنَ اللَّهِ –تَعَالَى– لِأُمَّتِهِ.

فَأجَابَ اللَّهُ عَنْ هَذِهِ الشُّبْهَةِ بِقَوْلِهِ: (قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ).

وقَالَ بَعْضُ المُشْرِكِين لِبَعْضٍ: لَوْ كَانَ لَنَا عُقُولٌ لَمْ نَخْرُجْ مَعَ مُحَمَّدٍ إِلَى قِتَالِ أَهْلِ مَكَّةَ وَلَمْ يُقْتَلْ رُؤَسَاؤُنَا، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بأَنَّ هَذَا قَدَرٌ مُقَدَّرٌ مِنَ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَ–ّ، وَحُكْمٌ حَتْمٌ لَا يُحَادُ عَنْهُ، وَلَا مَنَاصَ مِنْهُ؛ لِيَخْتَبِرَكُمْ بِمَا جَرَى عَلَيْكُمْ، وَلِيَمِيزَ الخبيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَيُظْهِرَ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ وَالْمُنَافِقِ لِلنَّاسِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَخْتَلِجُ فِي الصُّدُورِ مِنَ السَّرَائِرِ وَالضَّمَائِرِ. (١)

واخْتَلَفَ المُعربُون –فِيمَا اطَّلَعْتُ عَلَيهِ– فِي إعرابِ (الواو) ومَا بَعْدَهَا فِي قَولِه–تَعَالَى–

(وَطائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ) عَلَى ثَلاثَةِ أَوْجُهٍ:

- **الأَوَّلُ:** أنَّها واوُ الحَالِ، ومَا بَعْدَهَا فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الحَالِ، والعَامِلُ فِيهَا (يغشى).

وعَلَيْهِ: أبو الحسن الواحدي(٢)، وابنُ بابشاذ(٣)، والقرطبيّ(٤)، والطيبيّ.(٥)

- **الثاني:** أنها واوُ الابتِدَاء، ومَا بَعْدَهَا فِي مَحَلِّ رَفْعِ مُبْتَدَأ.

(١) مفاتيح الغيب، ٣/ ٣٩٣، البحر المحيط، ٢/ ١٤٥، تفسير القرطبي، ٤/ ٢٤٢

(٢) التفسير البسيط، ٦/ ٩١

(٣) شرح المقدمة المحسبة، ١/ ٢٥٦

(٤) تفسير القرطبي، ٤/ ٢٤٢

(٥) حاشية الطيبي على الكشاف، ٤/ ٣٠٩

وعَلَيْهِ: النحاس[١]، والفخر الرازي[٢]، والمنتجب الهمذاني.[٣]

وجَازَ الابْتِدَاءُ بهَا لأَنَّهَا مَوصُوفةٌ بمُقَدّر، كأَنَّه قَالَ: "وَطَائِفَةٌ مِنْ غَيْرِكِم"، وهُم المُنَافِقُون.

وفي خبره أوجه: أحدها: أنَّه (قد أَهَمَّتْهُم) الثاني: أنه (يظنون)، الثالث: أنه محذوفٌ، أي: ومِنْكُم طائفةٌ، الرابع: أنَّه (يقولون). [٤]

ويَجُوزُ الابتِدَاءُ بالنَّكرَةِ المَوْصُوفَةِ إنْ كَانَتْ الصِّفَةُ ظاهِرَةً أو مُقَدَّرة.

ومثَالُ الصِّفَةِ الظَّاهِرةِ قولُهُ–تعالَى–(وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ)[٥]، فـ(أجَلٌ): مُبْتَدأ، وسَاغَ الابتِدَاءُ بهِ لِوَصْفِهِ بـ(مُسَمًّى)[٦]، ومثَالُ الصِّفَةِ المُقَدَّرةِ قَولُ العَرَبِ فِى المَثَلِ:" شَرٌّ أَهَرَّ ذا نابٍ"[٧]، والتَّقديرُ: شَرٌّ عَظِيمٌ[٨]، وذَكَرَهُ ابنُ هِشَام وجَعَلَه مِثالاً مِثالاً لِمَجِيئ النكرة المُخَصَّصَةِ بوَصْفٍ مُقَدَّرٍ. والتقدير: شَرٌّ أَىُّ شَرٍّ.[٩]

(١) إعراب القرآن للنحاس، ١/ ١٨٥

(٢) مفاتيح الغيب، ٩/ ٣٩٤

(٣) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، ٢/ ١٥٢

(٤) الدر المصون، ٣/ ٤٤٧

(٥) الأنعام: ٢

(٦) الفوائد المحررة فى شرح مسوغات الابتداء بالنكرة، ٩٧

(٧) يضرب المثل فى ظهور أمارات الشرّ، وورد فى: مجمع الأمثال، ١/ ٣٧٠، الخصائص، الخصائص، ١/ ٣١٩، حاشية الصبان على الأشمونى، ١/ ٢٠٥، الفصول الخمسون، ١٨٩، مغنى اللبيب، ٢/ ٥٢٠، الأشباه والنظائر،٢/ ٥٤، لسان العرب (هـ ر ر)

(٨) الفوائد المحررة فى شرح مسوغات الابتداء بالنكرة، ٢٤٢

(٩) مغني اللبيب، ٢/ ٥٢٠

- **الثالث:** أنها بمعنى (إذ)ْ.

ذكره المبرد[١]، والزجاجي[٢]، وأبو البقاء[٣]، وهو ضعيفٌ. [٤]

وذَهَبَ الطاهرُ بنَ عاشور إلَى الوَجهِ الثَّانِي، وأنَّ (طائِفَةٌ): مُبْتَدَأٌ وُصِفَ بِجُمْلَةِ (قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ) وخَبَرُ المُبتَدأ جُمْلَةُ (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ).

وذَهَبَ إلَى أنَّ الجُمْلَةَ مِنْ قولِهِ –تعالَى–(وَطائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ) إلَى قَوْلِهِ:(وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ) اعْتِرَاضٌ بَيْنَ جُمْلَةِ (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ ...الآيَةَ) وَجُمْلَةُ (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ...) [٥]، والواوُ اعتِرَاضِيَّة.

والغَرَضُ من الاعْتِرَاضِ هُوَ التَّحَسُّرُ والنَّدَمُ عَلَى مَا فَاتَ هَذِه الطَّائِفة مِمَّا يَظُنُّونَهُ مُنْجِيًا لَهُمْ لَوْ عَمِلُوهُ.

ثمَّ شَرَعَ الشَّيخُ في إيضَاحِ ما تَضَمَّنَتْهُ جُملَةُ الاعْتِرَاضِ مِنْ دَقَائقَ وأسْرَار فِي جَمَالِ السَّبكِ وفصَاحَة النَّظْمِ ولُطْفِ الدَّلالَةِ عَلَى النَّحو التالي:

- ذَكَرَ الشَّيخُ وَجْهَاً منْ وُجوهِ الإبْدَاعِ فِي اسْتعمَالِ اللغةِ والتَّفَنُّنِ فِي النَّظْمِ عَلَى نحْو لَم يَسبِق العَربُ

إلَيهِ، وهُم أهلُ الفصَاحَةِ والبلَاغَةِ. فَعَلَى الرَّغْم مِن أنَّ القرآنَ نزَلَ بلغَةِ العَربِ وَوفقَ سنَنِهم فِي الكَلامِ، إلَّا أنَّهُ ابتَكَرَ ألفَاظاً لَم تَكنْ مَعروفةً عِندَ العربِ قبْلَ نُزولِهِ. وأطلَقَ عَليْهَا الشيخُ مُصطلحَ: "مُبْتَكَرات القُرآن"، ومِن هَذِه الألفاظ لَفْظُ **(الجَاهِلِيَّةِ)** في قَولِهِ –تَعَالَى–**(يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ)**

(١) المقتضب، ٣/ ٢٦٣

(٢) حروف المعاني والصفات، ٣٧

(٣) التبيان في إعراب القرآن، ١/ ٣٠٣

(٤) الدر المصون، ٣/ ٤٤٦

(٥) آل عمران: ١٥٥

- أَوْضَحَ الشيخُ أنَّ اللهَ –تَعَالى–وَصَفَ بهذا اللفْظِ أَهْلَ الشِّرْكِ فِي الآيةِ دُونَ غيرِهِ مِن الألفاظِ؛ تَنْفِيرًا مِنَ الجَهْلِ، وَتَرْغِيبًا فِي العِلْمِ، وَلِذَلِكَ يَذْكُرُهُ الْقُرْآنُ فِي مَقَامَاتِ الذَّمِّ، وقَدْ ورَدَ في القُرآنِ الكَرِيمِ مُضافاً إليهِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ. منهَا قولُه: (أَفَحُكْمَ **الجاهِلِيَّةِ** يَبْغُونَ)[١]، وقولـه:(وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ **الجاهِلِيَّةِ** الْأُولى).[٢]
- ذَكَرَ الشيخُ أنَّ لَفْظَ (**الجَاهِلِيَّة**) لَمْ يُسْمَعْ إِلَّا بَعْدَ نُزُولِ الْقُرْآنِ الكَرِيم وَفِي كَلَامِ المُسْلِمِينَ، واسْتَدَلَّ عَلَى ذلَكَ بِقَولِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "سَمِعْتُ أَبِي فِي **الجَاهِلِيَّةِ** يَقُولُ: اسْقِنَا كَأْسًا دِهَاقًا"[٣]، وبحَدِيثِ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ: أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنْ أَشْيَاءَ كَانَ يَتَحَنَّثُ بِهَا فِي **الجَاهِلِيَّةِ** مِنْ صَدَقَةٍ وَعَتَاقَةٍ وَصِلَةِ رَحِمٍ[٤]، وَقَالُوا: شِعْرُ **الجَاهِلِيَّةِ**، وَأَيَّامُ **الجَاهِلِيَّةِ**.
- ذَهَبَ الشيخُ إلى أنَّ كَلِمَةَ (الجَاهِلِيَّة) نِسْبَةٌ إِلَى الجَاهِلِ. أَيِ الَّذِي لَا يَعْلَمُ الدِّينَ وَالتَّوْحِيدَ.
- ذكرَ الشيخُ أنَّ العَرَبَ أَطْلَقَت (الجَهْلَ) عَلَى مَا قَابَلَ (الحِلمَ) واسْتَشْهَدَ بقَولِ ابنِ الرُّومِيّ:

بِجَهْلٍ كَجَهْلِ السَّيْفِ وَالسَّيْفُ مُنْتَضَى * وَحِلْمٍ كَحِلْمِ السَّيْفِ وَالسَّيْفُ مُغْمَدُ**[٥]

---

(١) المائدة: ٥٠

(٢) الأحزاب: ٣٣

(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٤٠، المحرر الوجيز، ١/ ٥٢٨، البحر المحيط، ٣/ ٣٩٢

(٤) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، باب حسن إسلام المرء، ١٠٧/١

(٥) ديوان ابن الرومي، ١/ ٣٧٧، الدر الفريد وبيت القصيد، ٣/ ٢٩٩، حاشية الطيبي على الكشاف، ٣/ ٥٦٣، حاشية الشهاب على البيضاوي، ٢/ ٣٥١، الصناعتين: الكتابة والشعر،٤٢٤، التحرير والتنوير، ٤/ ١٣٦

وأَطْلَقتِ (الجَهْل) عَلَى عَدَمِ العِلْمِ. واسْتَشْهَدَ بقولِ السَّمَوْأَل. **فَلَيْسَ سَوَاءٌ عَالِمٌ وَجَهُولُ**[١]

يقولُ الشيخُ:" (وَطائِفَةٌ) مُبْتَدَأٌ وُصِفَ بِجُمْلَةِ (قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ). وَخَبَرُهُ جُمْلَةُ (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ)، وَالجُمْلَةُ مِنْ قَوْلِهِ: (وَطائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ) إِلَى قَوْلِهِ: (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ) اعْتِرَاضٌ بَيْنَ جُمْلَةِ (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ ...الآيَةَ). وَجُمْلَةُ (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ...)[٢].

ويقُولُ في مَوضِعٍ آخر:" وَالجَاهِلِيَّةُ صِفَةٌ جَرَتْ عَلَى مَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ نِسْبَةٌ إِلَى الجَاهِلِ أَيِ: الَّذِي لَا يَعْلَمُ الدِّينَ وَالتَّوْحِيدَ، فَإِنَّ العَرَبَ أَطْلَقَتِ الجَهْلَ عَلَى مَا قَابَلَ الحِلْمَ.

قَالَ ابْنُ الرُّومِيّ:

بِجَهْلٍ كَجَهْلِ السَّيْفِ وَالسَّيْفُ مُنْتَضَى ... وَحِلْمٍ كَحِلْمِ السَّيْفِ وَالسَّيْفُ مُغْمَدُ

وَأُطْلِقَتِ الْجَهْلُ عَلَى عَدَمِ الْعِلْمِ قَالَ السَّمَوْأَلُ: فَلَيْسَ **سَوَاءٌ عَالِمٌ وَجَهُولُ**.

وَأَحْسَبُ أَنَّ لَفْظَ الجَاهِلِيَّةِ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ، وَصَفَ بِهِ أَهْلَ الشِّرْكِ تَنْفِيرًا مِنَ الجَهْلِ، وَتَرْغِيبًا فِي العِلْمِ، وَلِذَلِكَ يَذْكُرُهُ الْقُرْآنُ فِي مَقَامَاتِ الذَّمِّ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ:(أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ)[٣]، (وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى)[٤]، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَمِعْتُ أَبِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُ: اسْقِنَا كَأْسًا دِهَاقًا، وَفِي حَدِيثِ حَكِيمِ بْنِ

(١) ديوان السموأل، ٩٢، والبيت بتمامه: **سَلي إنْ جَهِلْتِ الناسَ عنَّا وعَنْهمُ *** فليسَ سَواءً عالمٌ وجَهولُ** وورد في: شرح ابن الناظم على الألفية، ٩٦، شرح التسهيل، ١/ ٣٤٩، شرح ابن عقيل، ١/ ٢٧٣، المساعد على تسهيل الفوائد، ١/ ٢٦١، همع الهوامع، ١/ ٤٢٨، تمهيد القواعد، ٣/ ١١٠

(٢) التحرير والتنوير، ٤/ ١٣٤

(٣) المائدة: ٥٠

(٤) الأحزاب: ٣٣

حِزَامٍ: أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيّ عَنْ أَشْيَاءَ كَانَ يَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ صَدَقَةٍ وَعَتَاقَةٍ وَصِلَةِ رَحِمٍ. وَقَالُوا: شِعْرُ الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَيَّامُ الْجَاهِلِيَّةِ. وَلَمْ يُسْمَعْ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَّا بَعْدَ نُزُولِ الْقُرْآنِ وَفِي كَلَامِ الْمُسْلِمِينَ". (١)

- وذَهَبَ الشيخُ إلى أنَّ الجُمْلَةَ الكَريمَةَ **(قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ)** اعْتِرَاضيّةٌ بَيْنَ الحَالِ وصَاحِبِهَا.

أي: بَيْنَ قولِه-تعالَى-(يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ)وقولِهِ (يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ما لا يُبْدُونَ لَكَ) فجُمْلَة (يخفون): حَال مِن ضَمِير (يقولون)، أي: يَقُولونَ فِيمَا بَيْنَهُم مُتَسَارّين.

وعَلَيهِ فالغَرَضُ مِن الاعْتِراضِ هُوَ بيَانُ أنَّ القَضَاءَ والتَّدبيرَ للهِ -تَعالَى- وحدَه، ولا يُشَارِكُهُ فيهِ غيرُهُ.

وفِي الاعتِراضِ ردٌّ عَلَى ظَنِّ الفَرِيقِ الثَّانِي بِاللَّهِ غَيْرَ الظَّنِّ الحَقِّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُظَنَّ بِهِ، حين قالوا: هَلْ لَنَا مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي كَانَ يَعِدُنَا بِهِ مُحَمَّدٌ؟ وَكَانَ غَرَضُهُمْ مِنْهُ الِاسْتِدْلَالَ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ كَاذِبًا فِي ادِّعَاءِ النُّصْرَةِ وَالْعِصْمَةِ مِنَ اللَّهِ -تَعَالَى- لِأُمَّتِهِ.

فَأَجَابَ اللَّهُ عَنْ هَذِهِ الشُّبْهَةِ بالجُمْلَةِ الاعْتِرَاضيّةِ الكَريمَةِ: **قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ.**

وإلى هَذَا الإعْرَابِ ذَهَبَ المنتجبُ الهمذاني(٢)، وابنُ عادل.(٣)

وقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو (كُلُّهِ) بِرَفْعِ اللَّامِ، وَالبَاقُونَ بِالنَّصْبِ(١)، والأَوَّلُ أَجْوَدُ وعَلَيهِ الأكثَرُ(٢)، ووَجْهُ الرَّفْعِ أنَّ قَوْلَهُ (كُلُّهُ) مُبْتَدَأٌ و(لِلَّهِ) خَبَرُهُ، ثُمَّ صَارَتْ الجملة خبراً لـ(إِنَّ)، وَأَمَّا النَّصْبُ فَلِأَنَّ لَفْظَةَ (كُل) لِلتَّأْكِيدِ. (٣)

(١) التحرير والتنوير، ٤/ ١٣٦ بتصرف

(٢) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، ٢/ ١٥٢

(٣) اللباب في علوم الكتاب، ٥/ ٦١٧

يَقُولَ الشَّيخُ:" وَجُمْلَةُ (قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ) رَدَّ عَلَيْهِمْ هَذَا العُذْرَ البَاطِلَ. أَيْ: أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ غَيْرُ مُحْتَاجَيْنِ إِلَى أَمْرِكُمْ. وَالْجُمْلَةُ مُعْتَرِضَةٌ. وَقَرَأَ الجُمْهُورُ :(كُلَّهُ) بِالنَّصْبِ تَأْكِيدًا لِاسْمِ (إِنَّ)، وَقَرَأَهُ أَبُو عَمْرٍو، وَيَعْقُوبُ بِالرَّفْعِ عَلَى نِيَّةِ الِابْتِدَاءِ. وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ (إِنَّ)."[٤]

ويَرَى البَحْثُ أنَّ الطاهر بن عاشور في هَذَا المَوضِع مِن السُّورةِ أجَازَ وُقُوعِ اعتِراضٍ فِي اعْتِراضٍ.

ولَا مانِعَ مِن ذلك؛ فقد وَرَد فِي قَولِهِ–تَعَالَى–(فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ، إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ)[٥]؛ ففِي هَذه الآياتِ الكريمات وقَعَ الاعْتِرَاضُ بَيْنَ القَسَم الذي هُوَ قَولُهُ: (فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ) وَجَوَابِهِ الذي هُوَ قَولُهُ: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ) بِجُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ قَوْلُهُ: (وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)، وجَاءَ فِي جُمْلَةِ الِاعْتِرَاضِ اعْتِرَاضٌ آخَر وهو جُمْلَةُ: (لَوْ تَعْلَمُونَ)؛ فقد اعْتُرِضَ بِهِا بَيْنَ المَنْعُوتِ الذي هُوَ قَولُهُ: (لَقَسَمٌ) وَبَيْنَ نَعْتِهِ: (عَظِيمٌ). فَهَذَا اعْتِرَاضٌ فِي اعْتِرَاضٍ. [٦]

=

(١) تفسير القرطبي، ٤/ ٢٤٢، بحر العلوم، ١/ ٢٥٨

(٢) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، ٢/ ١٥٤

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١/ ٤٨٠، مشكل إعراب القرآن، ١/ ١٧٧، التبيان في إعراب القرآن، ١/ ٣٠٢، تفسير
القرطبي، ٤/ ٢٤٢، اللباب في علوم الكتاب، ٥/ ٦١٦

(٤) المرجع السابق، ٤/ ١٣٧

(٥) الواقعة: ٧٥، ٧٦، ٧٧

(٦) البرهان في علوم القرآن، ٣/ ٦٢، شرح قواعد الإعراب، ١/ ٤٤

وعَلَيه جَمْعٌ مِن المُفسِّرينَ والنَّحويين منهم: النيسابوري(١)، والزمخشري(٢)، والبيضاوي(٣)، وأبوحيان(٤)، والسمين الحلبي(٥)، وابن هشام(٦)، وناظر الجيش(٧)، والشيخ خالد الأزهريّ(٨)، وأبو السعود(٩)، والشهاب الخفاجي(١٠)، والشوكاني(١١)، والآلوسي. (١٢) و**الله-تعالى-أعلى وأعلم**

- **الموضِعُ الحادي والعشرون: قال-تعالى-﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** (١٣)

الجملة الاعتراضية:

و(لا تحسبنّ): (لا) ناهية جازمة، وهو تكرار له لطول الكلام المتّصل بالأول، و(تحسبنّ) فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محلّ جزم بـ(بلا) والفاعل مستتر تقديره (أنت)

(١) إيجاز البيان عن معاني القرآن، ٢/ ٧٩٩
(٢) الكشاف، ٤/ ٤٦٨
(٣) تفسير البيضاوي، ٥/ ١٨٢
(٤) البحر المحيط، ٣/ ١١٩، التذييل والتكميل، ٩/ ١٩٧
(٥) الدر المصون، ٣/ ١٣٨
(٦) أوضح المسالك، ٣/ ٢٧٠
(٧) تمهيد القواعد، ٥/ ٢٣٤٩
(٨) موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، ٥٩
(٩) تفسير أبي السعود، ٥/ ٢٨
(١٠) حاشية الشهاب على البيضاوي، ١/ ١٤٨
(١١) فتح القدير، ٥/ ١٩٢
(١٢) روح المعاني، ١٤/ ٣٨١
(١٣) آل عمران: ١٨٨

و(هم) ضمير مفعول به أول والجملة لا محلَّ لها استئناف مكرَّر، و(بمفازة) جار ومجرور في موضع المفعول الثاني لـ(تحسبنهم) أمّا المفعول الثاني لـ(تحسبنّ) الأولى فمحذوف دلّ عليه اللفظ المذكور(بمفازة)، و(مِن العذاب) جار ومجرور متعلقان بمحذوف نعت لـ(مفازة) إن اعتبرت اسم مكان وبمفازة

إن اعتبرت مصدرا ميميا[١]، والجملة اعتراضيَّة عند الطاهر بن عاشور.[٢] عاشور.[٢]

الدراسة:

اخْتُلِفَ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ عَلَى قَولَين: [٣]

- **الأَوَّلُ:** قِيلَ نَزَلَت فِي رِجَالٍ مِنَ المُنَافِقِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الغَزْوِ تَخَلَّفُوا عَنْهُ، وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ مِنَ الغَزْوِ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ وَحَلَفُوا، وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا.
- **الثَّانِي:** قِيلَ نَزَلَت فِي اليَهُود لمَّا دَعَاهُم النَّبيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَسَأَلَهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَكَتَمُوهُ إِيَّاهُ وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ، فَأَرَوْهُ أَنْ قَدِ اسْتَحْمَدُوا إليه بمَا أَخْبَرُوهُ عَنْهُ فِيمَا سَأَلَهُمْ، وَفَرِحُوا بِمَا أَتَوْا مِنْ كِتْمَانِهِمْ إِيَّاهُ.

فَلَا تَظُنَّهُمْ بِمَنْجَاةٍ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي أَعَدَّهُ لِأَعْدَائِهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْخَسْفِ وَالْمَسْخِ وَالرَّجْفِ. [١]

---

(١) الإعراب المفصل لكتاب الله المنزل، ٢/ ٢١٢، ٢١٣، إعراب القرآن للدعاس، ١/ ١٧٨، ١٧٨، ١٧٩، الجدول في إعراب
القرآن، ٤/ ٤٠٨، ٤٠٩، إعراب القرآن وبيانه، ٢/ ١٢٨، ١٢٩

(٢) التحرير والتنوير، ١٩٤/٤، ١٩٥

(٣) أسباب النزول، ١٣٦، تفسير ابن كثير، ٢/ ١٦٠

وذَهبَ المُعربونَ –فِيمَا اطَّلعتُ علَيْهِ– إلَى أنَّ قَولَه –تَعَالَى–(فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ العَذابِ) لا مَحَلَّ لَهَا اسْتِئْنَافٌ مُكَرَّر.[٢]

وخَالَفَهُم الطاهرُ بن عاشور وذَهَبَ إلَى أنَّ الجُملَةَ الكَريمَةَ اعتِراضِيَّةٌ بينَ قوله –تَعالى–(وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا) وقوله –تَعالى–(وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ) مُقْتَرِنَةٌ بالفَاءِ وليْسَت اسِتِئنافاً. [٣]

وغَرَضُ الاعْتِرَاضِ هُوَ نَهْيُ النبيّ –صَلّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ– نَهْيَاً مُؤكَّدَاً عَنْ أنْ يَظُنَّ خيراً فَي هؤلاء الذِينِ يِفْرَحُون بمَا أَتوا ويُحِبُّونَ أنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلوا وأنَّهُم بِمَنْجَاةٍ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

ثمَّ شَرَعَ فِي عَرْضِ دَلالاتِ الاسْتِعْمالاتِ القُرْآنيَّة فِي الجُملَةِ السَامِيَة ومَا فيهِمَا مِنْ دقَائقَ وأسْرار جاءَت عَلَى النَّحو التَّالي:

- ذَكَرَ الشيخُ معنَى (المَفَازَة) بأنَّه: مَكَانُ الفَوْزِ. والمَكَانُ الَّذِي مَنْ يحلّه يفوز بِالسَّلَامَةِ مِنَ الْعَدُوّ.

وما ذكَرَهُ الشيخُ هو أحدُ معانيها؛ فـ(مَفَازَة) مُفْرَد: والجَمْعُ: مَفَازَات، ومَفَاوِزُ. ولها عِدةُ مَعَانٍ.مِنَهَا:[٤]

– مَصْدَر مِيميّ مِن: فازَ بـ، فازَ على، فازَ في.

=

(١) تفسير الطبري، ٦/ ٣٠٧

(٢) الإعراب المفصل لكتاب الله المنزل، ٢/ ٢١٢، ٢١٣، إعراب القرآن للدعاس، ١/ ١٧٨، ١٧٩، الجدول في إعراب
القرآن، ٤/ ٤٠٨، ٤٠٩، إعراب القرآن وبيانه، ٢/ ١٢٨، ١٢٩

(٣) التحرير والتنوير، ١٩٤/٤، ١٩٥

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، (ف و ز)

- الصَّحرَاء، والأرْضُ المُقْفِرَة. وسُمِّيَت كذلك تَفَاؤلاً بالفَوزِ، أي: النَّجَاة. وتقُولُ: ضَلَّت سَيَّارةُ السُّيّاحِ فِي المَفَازَةِ وكَادُوا يَهْلَكُون.
- اسْمُ مَكَان مِن: فازَ بـ، فازَ عَلَى، فَازَ فِي، فَازَ مِن: مَكَان فَوزٍ ونَجَاة. ومِنْهُ قَولُهُ –تَعَالَى–(فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ).

- بيَّنَ الشَّيخُ السَّبَبَ وَرَاءَ تَسْمِيَةِ (البَيْدَاء الوَاسِعَة) بـ(مَفَازَة) وهو: أَنَّ الْمُنْقَطِعَ فِيهَا يَفُوزُ بِنَفْسِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ. يقولُ أَبُو عُبَيد عَن الأصمعيّ:" قَالُوا للفَلاة: مَفازَة، تَفَاءلُوا بالفَوْز وَهِي مَهْلَكة".(١)
- ذَكَرَ الشيخُ العِلاقةَ الدَّلالِيّة وَرَاءَ اجْتِمَاعِ لَفظِ (المَفَازَةُ) وقولـه (مِنَ العَذابِ) فِي الآيَةِ.

وهي البيانُ والتوضِيح، فلَفظِ (المَفَازَةُ) وَرَدَ فِي الآيَةِ مُجْمَلاً بِالنِّسْبَةِ لِلْفَوْزِ الْحَاصِلِ فِيهَا، ثمَّ جَاءَ قولـه: (مِنَ العَذابِ) لبيَانِهِ وتَوضِيحِه.

يَقُولُ الشَّيخُ: "وَالمَفَازَةُ: مَكَانُ الفَوْزِ. وَهُوَ المَكَانُ الَّذِي مَنْ يحلّـه يفوز بِالسَّلَامَةِ مِنَ العَدُوِّ سُمِّيَتِ البَيْدَاءُ الْوَاسِعَةُ مَفَازَةً لِأَنَّ المُنْقَطِعَ فِيهَا يَفُوزُ بِنَفْسِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ وَطَلَبَةِ الوَتَرِ عِنْدَهُ وَكَانُوا يَتَطَلَّبُونَ الإِقَامَةَ فِيهَا. وَلَمَّا كَانَتِ المَفَازَةُ مُجْمَلَةً بِالنِّسْبَةِ لِلفَوْزِ الْحَاصِلِ فِيهَا بَيَّنَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: مِنَ العَذابِ".(٢)

وقرِئَت الجُملَةُ الاعتِراضيَّةُ عَلَى أربَعَةِ أوْجُهٍ:

- **الوَجْـهُ الأوَّلُ:** قَـرَأَ نَـافِعٌ(٣)، وَابْـنُ كَثِيـرٍ(٤)، وَابْـنُ عَـامر(١)، وَأَبُـو عمـرو(٢)، وَأَبُو جَعْفَرٍ(٣)، بِالياءِ التَّحْتِيَّةِ– عَلَى الغَيْبَةِ. أي:(لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ) و(فَلا يَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ).

---

(١) تهذيب اللغة (س ل م)

(٢) التحرير والتنوير، ٤/ ١٩٤

(٣) مفاتيح الغيب، ٩/ ٤٥٦

(٤) حجة القراءات، ١٨٦، المبسوط في القراءات العشر، ١٧١، تفسير البغوي، ١/ ٥٥١، =

- وَوَجْهُ هَذِهِ القِرَاءَةِ: أنْ يكونَ الفِعْلُ الأوَّلُ (لا يَحْسَبَنَّ) غيرَ مُتَعَدٍّ، وَ (الَّذينَ يَفْرَحُونَ) هو الفَاعِل، ويكونُ الفعلُ الثَّانِي (فَلا يَحْسَبَنَّهُم) بَدَلا مِن الأوّل، وَالفَاء زَائِدَة، وَلَمْ تَمْنَع مِن البَدَل، وَلمَّا تَعَدَّى (فَلَا يَحْسَبَنَّهُم) الثَّانِي إِلَى مفعولين اسْتغنى بذلك عَن تَعَدِّي (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذينَ يَفْرَحُونَ) الأول؛ لِأَنَّ الثَّانِي بَدَلٌ مِنْهُ. (٤)
- **الوَجْهُ الثَّانِي:** قرأ نَافعٌ وابنُ عَامر: الفِعْلَ الأوَّل بالياء (لَا يَحْسَبَنَّ)، والثَّاني بالتَّاء (فَلَا تَحْسَبَنَّهُم) .
- وَوَجْهُ هَذِهِ القِرَاءَةِ: ألَّا يَحْسُنَ فِيهَا البَدَلُ؛ لاخْتِلَافِ فاعِليهما، وأنَّ يَكُونَ مَفْعُولا الأوَّل حُذِفَا لدلَالَة

مَفْعُولي الثَّانِي عَلَيْهِمَا. فَلمَّا كَانَ قَوْلُه (فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ} متَّصلًا بمفعولَيْن ظاهِرَيْنِ، جُعِلا مفعولَي قولِهِ (لا يَحْسَبَنَّ الذين يَفْرَحُون) بتقدير: لا يَحْسَبَنَّ الذِينَ يَفْرَحُونَ أنْفُسَهُمْ بِمَفَازةٍ مِن العَذَابِ ولا تَحْسَبَنَّهم أنْتَ –أيضًا– كَذَلِك. (٥)

=

المحرر الوجيز، ١/ ٥٥٢،

معاني القرآن للأزهري، ١/ ٢٨٢، مفاتيح الغيب، ٩/ ٤٥٦

(١) التحرير والتنوير، ٤/ ١٩٤، مفاتيح الغيب، ٩/ ٤٥٦

(٢) المبسوط في القراءات العشر، ١٧١، حجة القراءات، ١٨٦، معاني القراءات للأزهري، ١/ ٢٨٢، الكشاف، ١/ ٤٥١،

مفاتيح الغيب، ٩/ ٤٥٦، المحرر الوجيز، ١/ ٥٥٢، تفسير البغوي، ١/ ٥٥١

(٣) التحرير والتنوير، ٤/ ١٩٤، مشكل إعراب القرآن، ١/ ١٨٣

(٤) مشكل إعراب القرآن، ١/ ١٨٢

(٥) التفسير البسيط، ٦/ ٢٥١، ٢٥٢

الوَجْـهُ الثَّالِـثُ: قَـرَأَ عَاصِـمٌ وَحَمْـزَةُ وَالْكِسَـائِيُّ بالتَّـاء[١]: (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذينَ يَفْرَحُونَ) و(فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ)

- وَوَجْهُ هَذِهِ القِرَاءة: أَنَّهُ حَذَفَ المَفْعُولَ الثَّانِي الذِي يَقْتَضِيهِ (تَحْسَبَنَّ) الأولَى؛ لدلَالَة مَا بعده عَلَيْهِ.

يقولُ الطاهر بن عَاشور:" جَاءَ تَرْكِيبُ الآيَةِ عَلَى نَظْمٍ بَدِيعٍ إِذْ حُذِفَ المَفْعُولُ الثَّانِي لِفِعْلِ الحُسْبَانِ

الأَوَّلِ لِدَلَالَةِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ وَهُوَ مَفْعُولُ (فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ) وَالتَّقْدِيرُ: لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ إِلَخْ أَنْفُسَهُمْ".[٢]

ويجوزُ أَنْ يكون (تَحْسَبَنَّهُمْ) الثَّانية بَدَلا مِنْ (تَحْسَبَنَّ) الأولَى؛ لِاتِّفَاق الفاعلين والمفعولين وَالفَاء زَائِدَة لَا تمنع من البَدَل. [٣]

يقول الفخر الرازي:"أَمَّا القِرَاءَةُ الْأُولَى- يعني: مَنْ قَرَأَ بالتَّاء-فيهَا وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يُقْرَأَ كِلَاهُمَا بِفَتْحِ البَاءِ. وَالثَّانِي: أَنْ يُقْرَأَ كِلَاهُمَا بِضَمِّ الْبَاءِ، فَمَنْ قَرَأَ بِالتَّاءِ وَفَتَحَ البَاءَ فِيهِمَا جَعَلَ التَّقْدِيرَ: لا تَحْسَبَنَّ يَا مُحَمَّدُ، أَوْ أَيُّهَا السَّامِعُ، وَمَنْ ضَمَّ البَاءَ فِيهِمَا جَعَلَ الخِطَابَ لِلمُؤْمِنِينَ، وَجَعَلَ أَحَدَ المَفْعُولَيْنِ (الَّذِينَ يَفْرَحُونَ)، وَالثَّانِي: (بِمَفَازَةٍ)، وَأَمَّا الْقِرَاءَةُ الثَّانِيَةُ وَهِيَ بِاليَاءِ الْمُنَقَّطَةِ مِنْ تَحْتُ فِي قَوْلِهِ: (لَا يَحْسَبَنَّ) فَفِيهَا أَيْضًا وَجْهَانِ: الْأَوَّلُ: بِفَتْحِ البَاءِ وَبِضَمِّهَا فِيهِمَا، جَعَلَ الفِعْلَ لِلرَّسُولِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْبَاقِي كَمَا عَلِمْتَ". [٤]

- **الوَجْـهُ الرَّابِـعُ:** قُرِئَ الفِعْلُ الأولُ بِالتَّاءِ (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذينَ يَفْرَحُونَ) وَالثَّانِي بِاليَاءِ (فَلا يَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ).

---

(١) حجة القراءات، ١٨٦، مفاتيح الغيب، ٤٥٦/٩، التحرير والتنوير، ٤/ ١٩٤

(٢) التحرير والتنوير، ٤/ ١٩٤

(٣) مشكل إعراب القرآن، ١/ ١٨٣، تفسير البغوي، ١/ ٥٥١

(٤) مفاتيح الغيب، ٩/ ٤٥٦، ٤٥٧

- وَوَجْهُ هَذِهِ القِرَاءة: ألَّا يَحْسُنُ فِي الثَّانِي البَدَل.

يَقُولُ مَكِّي بن أبِي طَالِب: "مَنْ قَرَأَ الأول بِاليَاءِ وَالثَّانِي بِالتَّاءِ فَلَا يحسن فِيهِ البَدَل لاخْتِلَاف فاعليهما وَلكن يكون مَفْعُولا الأوَّل حذفا لدلَالَة مفعولي الثَّانِي عَلَيْهِمَا". (١)

- وأُعِيدَ فِعلُ الحُسْبَان فِي الآية الكَرِيمَةِ لِطُولِ الْكَلَامِ. (٢)

يقولُ الفَخرُ الرازيّ:" العَرَبُ تُعِيدُ إذَا طَالَت القِصَّةُ فِي (حسبت) ومَا أشْبَهَهَا، إعْلَاماً أنَّ الذِي جَرَى مُتَّصِلٌ بالأوَّلِ، وتوكِيداً لِلأوَّلِ. وَحَسُنَتْ إعَادَتُهُ لِطُولِ الْكَلَامِ، كَقَوْلِكَ: لَا تَظُنَّ زَيْدًا إذَا جَاءَكَ وَكَلَّمَكَ فِي كَذَا وَكَذَا فَلَا تَظُنَّهُ صَادِقًا".(٣)، تُعِيدُ: لَا تَظُنَّ. تَوكيدًا.

ويَقُولَ الطاهر بن عاشور عَنْ الأوجُهِ السَّابقَة: " قَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ كَثِيرٍ، وَابْنُ عَامر، وَأَبُو عمور، وَأَبُو جَعْفَرٍ: لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ- بِاليَاءِ التَّحْتِيَّةِ- عَلَى الغَيْبَةِ، وَقَرَأَهُ البَاقُونَ- بِتَاءِ الخِطَابِ- وَقَدْ جَاءَ تَرْكِيبُ الآيَةِ عَلَى نَظْمٍ بَدِيعٍ إِذْ حُذِفَ المَفْعُولُ الثَّانِي لِفِعْلِ الحُسْبَانِ الأَوَّلِ لِدَلَالَةِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ وَهُوَ مَفْعُولُ فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ، وَالتَّقْدِيرُ: لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ إِلَخْ أَنْفُسَهُمْ. وَأُعِيدَ فِعْلُ الحُسْبَانِ فِي قَوْلِهِ: (فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ) مُسْنَدًا إِلَى المُخَاطَبِ عَلَى طَرِيقَةِ الِاعْتِرَاضِ بِالفَاءِ وَأُتِيَ بَعْدَهُ بِالمَفْعُولِ الثَّانِي: وَهُوَ (بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ). وَعَلَى قِرَاءَةِ الجُمْهُورِ:(لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ) بِتَاءِ الْخِطَابِ، يَكُونُ خِطَابًا لِغَيْرِ مُعَيَّنٍ لِيَعُمَّ كُلَّ مُخَاطَبٍ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ: (فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ) اعْتِرَاضًا بِالفَاءِ أَيْضًا وَالْخِطَابُ لِلنَّبِي-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَعَ مَا فِي حَذْفِ المَفْعُولِ الثَّانِي لِفِعْلِ الحُسْبَانِ الْأَوَّلِ".(٤)

---

(١) مشكل إعراب القرآن، ١/ ١٨٢

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ١/ ٧٩٨، التفسير البسيط، ١/ ٢٥٠

(٣) مفاتيح الغيب، ٩/ ٤٧٥.

(٤) التحرير والتنوير، ٤/ ١٩٤، ١٩٥ بتصرف

ويَرَى البَحْثُ أنَّ الشَّيخَ فِي هَذَا المَوضِعِ مِن السُّورَةِ أجَازَ اقْتِرانَ الجُمْلَةِ الاعْتِرَاضِيَّةِ بالفاءِ.

وقَدْ سَبقَ الحَديثُ عَن هَذا الأمْرِ وبيَانُ مَوقِفِ الشِيخِ مِنه.[١]

والله-تعالى-أعلى وأعلم

****

- **الموضِعُ الثاني والعشرون: قال-تعالى-﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي البِلادِ﴾** [٢]

الجملة الاعتراضية:

(لا) ناهية جازمة، و(يَغُرَّنَّ) مضارع مبنيّ على الفتح في محلّ جزم بـ(لا) و(النون) نون التوكيد الثقيلة، و(الكاف) مفعول به، و(تقلّب) فاعل مرفوع، و(الذين) اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ مضاف إليه، و(كفروا) فعل ماض مبنيّ على الضمّ والواو فاعل وجملة (كفروا) صلة، (في البلاد) جارّ ومجرور متعلّقان بـ(تقلّب)[٣]، والآيةُ كُلُّهَا اعْتِرَاضُ عند الطاهر بن عاشور.[٤]

الدراسة:

نَزَلَتْ الآيَةُ فِي مُشْرِكِي مَكَّةَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي رَخَاءٍ وَلِينٍ مِنَ العَيْشِ، وَكَانُوا يَتَّجِرُونَ وَيَتَنَعَّمُونَ، وكَانَ المُؤمنونَ فِي الدُّنْيَا فِي نِهَايَةِ الفَقْرِ وَالشِّدَّةِ، فَقَالَ

(١) ينظر الموضع الثاني عشر، والثالث عشر من الدراسة.

(٢) آل عمران، ١٩٦

(٣) إعراب القرآن للدعاس، ١/ ١٨١، إعراب القرآن للنحاس، ١/ ١٩٥، الجدول في إعراب القرآن، ٤/ ٤٢٢، إعراب القرآن وبيانه، ٢/ ١٤٤

(٤) التحرير والتنوير، ٤/ ٢٠٥

بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ: "إِنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ فِيمَا نَرَى مِنَ الْخَيْرِ، وَقَدْ هَلَكْنَا مِنَ الْجُوعِ وَالْجَهْدِ". فَنَزَلَتْ الآيَةُ. (١)

والمُخَاطَبُ فِي قَوْلِهِ (لَا يَغُرَّنَّكَ) فِيهِ قَوْلَانِ: (٢)

- **الْأَوَّلُ:** أَنَّهُ الرَّسُولُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَلَكِنَّ الْمُرَادَ هُوَ الْأُمَّةُ. قَالَ قَتَادَةُ: "وَاللَّهِ مَا غَرُّوا نَبِيَّ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ".
- **الثَّانِي:** أَنَّ هَذَا خِطَابٌ لِكُلِّ مَنْ سَمِعَهُ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ، كَأَنَّهُ قِيلَ: لَا يَغُرَّنَّكَ أَيُّهَا السَّامِعُ.

يَقولُ الشَّوكَانيّ:" هَذِهِ الْآيَةُ مُتَضَمِّنَةٌ لِقُبْحِ حَالِ الكُفَّارِ بَعْدَ ذِكْرِ حُسْنِ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَالمَعْنَى: لَا يَغُرَّنَّكَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ تَقَلُّبِهِمْ فِي الْبِلَادِ بِالْأَسْفَارِ لِلتِّجَارَةِ الَّتِي يَتَوَسَّعُونَ بِهَا فِي مَعَاشِهِمْ، فَهُوَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ يَتَمَتَّعُونَ بِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ ثُمَّ مَصِيرُهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ".(٣)

وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: (لَا يَغُرَّنَّكَ) بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ وَتَشْدِيدِ النُّون، وَهِيَ نُونُ التَّوْكِيدِ الثَّقِيلَةِ، وَقَرَأَهَا رُوَيْسٌ عَنْ يَعْقُوبَ (لَا يَغُرَّنْكَ) بِنُونٍ سَاكِنَةٍ، وَهِيَ نُونُ التَّوْكِيدِ الخَفِيفَةِ. (٤)

---

(١) أسباب النزول، ١٣٩، البحر المحيط، ٣/ ٤٨١، مفاتيح الغيب، ٩/ ٤٧١، تفسير البيضاوي، ٢/ ٥٦

(٢) الكشاف، ١/ ٤٥٧، حاشية الطيبي على الكشاف، ٤/ ٣٩٣، مفاتيح الغيب، ٩/ ٤٧١، تفسير القرطبي، ٤/ ٣١٩، تفسير البغوي، ١/ ٥٥٨

(٣) فتح القدير، ١/ ٤٧٤

(٤) التحرير والتنوير، ٤/ ٢٠٦، البحر المحيط، ٣/ ٤٨١، المحرر الوجيز، ١/ ٥٥٨، تفسير القرطبي، ٤/ ٣١٩

وذَهبَ المُعربونَ –فِيمَا اطَّلعتُ علَيْهِ– إلَى أنَّ الآيةَ الكرِيمةَ مُسْتَأنَفةٌ.(١)

وخَالَفَهُم الطاهرُ بن عاشور وذَهَبَ إلَى أنَّ الآيَةَ اعتِراضٌ بينَ قولِه –تَعَالَى–(فَٱستَجَابَ لَهُم رَبُّهُم أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعضُكُم مِّنۢ بَعضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجرِي مِن تَحتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسنُ ٱلثَّوَابِ)(٢) وقولِه (مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ) (٣)

والغرضُ من الاعتراضِ: المَوْعِظَةُ وَالعِبْرَةُ(٤)، نَشَأَ عَنْ قَوْلِهِ –تَعالى– (فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ) (٥) بِاعْتِبَارِ مَا يَتَضَمَّنُهُ عَدَمُ إِضَاعَةِ العَمَلِ مِنَ الجَزَاءِ عَلَيْهِ جَزَاءً كَامِلًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَا يَسْتَلْزِمُهُ ذَلِكَ مِنْ حِرْمَانِ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَاعِي الْإِيمَانِ وَهُمُ الْمُشْرِكُونَ.

ثمَّ شَرَعَ في بَيَانِ مَا حَوتْهُ جُمْلَةُ الاعتِراضِ مِن أسرَارٍ ودَقائقَ ودَلالاتٍ لَطِيفَة جاءَت عَلَى النَّحو التَّالي:

- ذَهَبَ الشَّيخُ إلى أنَّ الخِطَابَ في قولِهِ (لا يَغُرَّنَّكَ) لَمْ يَكن مُوَجَّهاً لرسُول اللهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وإنَّمَا لِغَيْرِ مُعَيَّنٍ مِمَّنْ يُتَوَهَّمُ أَنْ يَغُرَّهُ حُسْنُ حَالِ الْمُشْرِكِينَ فِي الدُّنْيَا. (٦)

(١) إعراب القرآن للدعاس، ١/ ١٨١، إعراب القرآن للنحاس، ١/ ١٩٥، الجدول في إعراب القرآن، ٤/ ٤٢٢، إعراب القرآن وبيانه، ٢/ ١٤٤

(٢) آل عمران: ١٩٥

(٣) آل عمران: ١٩٧

(٤) التحرير والتنوير، ١٥/ ٣٣٢

(٥) آل عمران: ١٩٥

(٦) التحرير والتنوير، ٤/ ٢٠٥

- ذَكَر الشيخُ مَعْنَى (الغَرُّ وَالغُرُورُ) بأنَّه يعْنِي: الإِطْمَاعُ فِي أَمْرٍ مَحْبُوبٍ عَلَى نِيَّةِ عَدَمِ وُقُوعِهِ، أَوْ إِظْهَارِ الْأَمْرِ المُضِرّ فِي صُورَةِ النَّافِعِ، وأَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ (الغِرَّةِ) بِكَسْرِ الغَيْنِ. وَهِيَ: الغَفْلَةُ، وَرَجُلٌ (غِرٌّ) بِكَسْرِ الغَيْنِ- إِذَا كَانَ يَنْخَدِعُ لِمَنْ خَادَعَهُ.

واسْتشهَدَ عَلَى هَذَا المَعْنَى بقولِ رسولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "المُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ"(١)

أَيْ: يَظُنُّ الخَيْرَ بِأَهْلِ الشَّرِّ إِذَا أَظْهَرُوا لَهُ الخَيْرَ.

وَهُوَ هُنَا مُسْتَعَارٌ لِظُهُورِ الشَّيْءِ فِي مَظْهَرٍ مَحْبُوبٍ، وَهُوَ فِي العَاقِبَةِ مَكْرُوهٌ

- ذَكَرَ الشيخُ السَّبَبَ الدَّلاليّ وَراءَ إِسْنَادِ (الغُرُورِ) إِلَى (التَّقَلُّبِ) دُونَ غيره بأنَّ (التَّقَلُّبَ) سَبَبُ الغُرُور.

فَهُوَ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ، وَالتَّقديرُ: لَا يَنْبَغِي أَنْ يَغُرَّكَ. وَنَظِيرُهُ قولُهُ -تعالَى- (لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ)(٢)

- بيَّنَ الشَّيخُ نَوعَ (لا) فِي قوله (لا يَغُرَّنَّكَ) بأنَّها للنَّهي وليسَ النَّفْيِ؛ لأنَّ نونَ التَّوكيدِ لا تَدْخُلُ عَلَى النَّفْي.

يقُولُ الشَّيخُ:

" قولُهُ: (لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ) اعْتِرَاضٌ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الخَاتِمَةِ، نَشَأَ عَنْ قَوْلِهِ: (فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ) (٣)

---

(١) سنن الترمذي، باب: ما جاء في البخيل، ٤/ ٣١٤، سنن أبي داود، باب: في حسن العِشرة، ٤/ ٢٥١

والحديثُ بتمامِه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-"المُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ، وَالفَاجِرُ خِبٌّ لَئِيمٌ".

(٢) الأعراف: ٢٧

(٣) آل عمران: ١٩٥

بِاعْتِبَارِ مَا يَتَضَمَّنُهُ عَدَمُ إِضَاعَةِ العَمَلِ مِنَ الجَزَاءِ عَلَيْهِ جَزَاءً كَامِلًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَا يَسْتَلْزِمُهُ ذَلِكَ مِنْ حِرْمَانِ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَاعِي الإِيمَانِ وَهُمُ المُشْرِكُونَ، وَهُمُ المُرَادُ بِالَّذِينَ كَفَرُوا كَمَا هُوَ مُصْطَلَحُ القُرَّاءِ. وَالخِطَابُ لِغَيْرِ مُعَيَّنٍ مِمَّنْ يُتَوَهَّمُ أَنْ يَغُرَّهُ حُسْنُ حَالِ المُشْرِكِينَ فِي الدُّنْيَا.

وَالغَرُّ وَالغُرُورُ: الإِطْمَاعُ فِي أَمْرٍ مَحْبُوبٍ عَلَى نِيَّةِ عَدَمِ وُقُوعِهِ، أَوْ إِظْهَارِ الأَمْرِ المُضِرِّ فِي صُورَةِ النَّافِعِ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الغِرَّةِ– بِكَسْرِ الغَيْنِ– وَهِيَ الغَفْلَةُ، وَرَجُلٌ غِرٌّ –بِكَسْرِ الغَيْنِ– إِذَا كَانَ يَنْخَدِعُ لِمَنْ خَادَعَهُ. وَفِي الحَدِيثِ: «المُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ» أَيْ يَظُنُّ الخَيْرَ بِأَهْلِ الشَّرِّ إِذَا أَظْهَرُوا لَهُ الْخَيْرَ. وَهُوَ هُنَا مُسْتَعَارٌ لِظُهُورِ الشَّيْءِ فِي مَظْهَرٍ مَحْبُوبٍ، وَهُوَ فِي العَاقِبَةِ مَكْرُوهٌ. وَأُسْنِدَ فِعْلُ الغُرُورِ إِلَى التَّقَلُّبِ لِأَنَّ التَّقَلُّبَ سَبَبُهُ، فَهُوَ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ، وَالمَعْنَى لَا يَنْبَغِي أَنْ يَغُرَّكَ. وَنَظِيرُهُ: (لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ) [١]. و(لَا) نَاهِيَةٌ لِأَنَّ نُونَ التَّوْكِيدِ لَا تَجِيءُ مَعَ النَّفْيِ." [٢]

ويَرى البَحْثُ أنَّ ما ذَهَب إليهِ الشيخُ فِي بيَانِ نوعِ (لا) في قولِه تَعالَى (لا يَغُرَّنَّكَ) بأنَّها نَاهيَةٌ هُوَ مَذْهَبُ النحويين؛ لأنَّهُم اشْتَرَطُوا فِي تَوكيدِ الفِعْلِ المُضَارع شروطًا. منْهَا: أنَّ يكونَ مثبَتًا. [٣]

ومَا وَرَدَ مِنْ تَوكِيدُ المُضَارعِ بالنُّونِ بَعْدَ (لَا) النافيةِ فَقَدْ جَاءَ حَمْلًا لَهَا فِي اللَّفْظ عَلَى (لَا) النَّاهِيَةِ.

ومنهُ قولُهُ –تَعَالَى–(اُدْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُه)[٤]، وَقولُهُ (وَاتَّقوا فتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُم خَاصَّة)[٥]

(١) الأعراف: ٢٧

(٢) التحرير والتنوير، ٤/ ١٩٤، ١٩٥ بتصرف

(٣) البديع في علم العربية، ١/ ٦٦٤، أوضح المسالك، ٤/ ٩٥

(٤) النمل: ١٨

(٥) الأنفال: ٢٥

يَقولُ ابنُ مالِك:" وقَدْ يُؤكَّدُ بإحْدَى النُّونَين المُضارعُ المَنفِيُّ بـ"لا" تَشْبيهًا بالنَّهْي".(١)

ويقولُ ابنُ هِشام:" تَوكيدُ المُضَارع بالنُّون بعد (لَا) النَّافِيةِ حَمْلاً لَهَا فِي اللَّفْظ عَلى (لَا) الناهية نَحْو (أُدْخُلُوا مَسَاكِنكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانْ وَجُنُودُه) ونحو (وَاتَّقوا فتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُم خَاصَّة) فَهَذَا مَحْمُول فِي اللَّفْظ على نَحْو –(وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً)(٢)، وَمنْ أَوَّلهَا عَلَى النَّهْي لَمْ يَحْتَج إِلَى هَذَا".(٣)

والله–تعالى–أعلى وأعلم

(١) شرح الكافية الشافية، ٣/ ١٤٠٣، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ٣/ ١١٩، حاشية الصبان، ٣/ ٣٢٢، تمهيد القواعد، ١/ ٣٩٣٠

(٢) إبراهيم: ٤٢

(٣) مغني اللبيب: ٨٩١

الخاتمة

الحَمْدُ للهِ الوَاحِدِ المَعْبُود، عَمَّ بحِكْمَتِهِ الوُجُود، وشَمِلَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ مَوْجُود، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلى صَاحِبُ المَقَامِ المَحْمُودِ، واللوَاءِ المَعْقود، والحَوْضِ المَوْرودِ، سيِّدِنَا مُحَمَّدٍ بن عبْدِاللهِ وعَلى آلِهِ وأَصْحَابِهِ، الرُّكَّعِ السُّجُود، والتَّابِعِينَ ومَنْ تَبِعَهُم مِن المُؤْمِنِين الشُّهُود. **وبَعد**،،،

فَفِي خِتَامِ هَذَا البَحْثِ المُتَواضِعِ، وبَعْدَ جَوْلَةٍ مَاتِعَةٍ مَعَ الجملة الاعتراضية ودلالاتها في سورة آل عمران مع الطاهر بن عاشور في تفسير التحرير والتنوير يَطِيبُ لي أنْ أُسجلَ بَمِشيئةِ اللهِ–تَعَالى–أبْرَزَ النَّتَائِج التِي تَمَخَّضَتْ عَنْهَا هَذِه الدِّراسَة، أمَّا التفصِيلُ فإنَّ القارئ الكريمَ يَجِدُهُ مُثبتَاً فِي ثنَايَا البَحْث.

١) تفسير الطاهر بن عاشور"التحرير والتنوير" تصنيفٌ فريدٌ مِنْ نوعه لم يُسبق إليه؛ ففيه أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن ممَّا في التفاسير.

٢) حَصْرُ تعريف الجملة الاعتراضية بأنها:"الجملة الواقعة بين شيئين متلازمين" فيه نظرٌ؛ لأنَّه لا يصدق على الاستعمالات اللغوية التي ترد فيها الجملة الاعتراضية عندَ الطاهر بن عاشور في ذَيلِ الكلام دون أن تتوسط بين شيئين متلازمين، وهو ما أظهرته الدراسة في سورة آل عمران.

٣) يُعَدُّ الفرَّاءُ أوَّلَ مَنْ قال بمصطلح "الاعتراض" مِن النحاة، وقد أورَدَه في "معاني القرآن" اسماً تارةً وفعلاً أخرى.

٤) وَرَدَت الجملة الاعتراضية في سورة آل عمران عند الطاهر بن عاشور في اثنين وعشرين مَوضِعاً، على صورتين؛ فكانت: جزءا من الآية في اثني عشرَ موضِعاً[١]، وآية كاملة في عشرة مواضع.[٢]

(١) ينظر المواضع: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٩، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ٢٠، ٢١

(٢) ينظر المواضع: ٦–٧–٨، ١٠–١١، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠

٥) لم يكن للطاهر بن عاشور مَنهَجُ ثابتٌ في سَرْدِ الجُملةِ الاعتراضِيَّةِ فِي سورَةِ آلِ عِمران فقد تعَدَّدَت طُرقُهُ وتَنَوَّعت في عَرْضِها، حتَّى وصَلت ثمانيةَ نَماذج، شَمِلَت مواضعَ الاعتراض كلها في السورة.

٦) إعراب الجملة الاعتراضية في سورة آل عمران وغيرها ضروريٌّ لفهم الآيات ونظمها وبيان ترابطها؛ إذ يحكم إعراب الجملة العلاقات الدلالية بينها وبين ما يكتنفها من كلمات.

٧) كانت مواضع الجملة الاعتراضية في سورة آل عمران عند الطاهر بن عاشور موضع خلاف بينه وبين المعربين إلا في موضعين: الثالث والتاسع.

٨) لَمْ يهتم سيبويه وابن السراج بترتيب المعارف، وإنما اقتصر حديثهما على أنواعها فقط.

٩) وجَّهت الدراسة النَّظر إلى أنَّ ما نسبه أبو البركات الأنباريّ، وابنُ الأثير، والعكبريّ، وابنُ يعيش، وأبو حيان، والسيوطيّ إلى سيبويه في ترتيب المعارف لم يثبت عنه.

١٠) بيَّنت الدراسة أنَّ ما نسبه أبو البركات الأنباري، والعكبري، وابن يعيش إلى ابْنِ السَّرَّاج من القول بأنَّ "العلَمَ" عنده أعرف المعارف. غيرُ صحيح.

١١) كَشَفَت الدراسة عَدَمَ صِحَّة ما نسبه أبو حيان الأندلسي إلى الصَّيمريّ مِن القول بأنَّ العلَمَ عنده أعرف المعارف؛ فقد أثبتت الدراسة أنَّ المُضمرَ عنده هو أعرف المعارف وأخصها.

١٢) أظهرت الدراسة أنَّ "العَلَمَ" عند الطاهر بن عاشور هَوَ أعرَفُ المَعَارِفِ. وقد صرَّحَ الشيخ بذلك في المَوضِع الأوَّل من السورة.

١٣)أجَازَ الطاهرَ بن عاشور وقوعَ الجُملةِ الاعْتراضِيَّة في ذَيلِ الكَلام بِلَا شَرْط، موافقا ما ذَهَبَ إليه: الزمخشري، وأبو السعود، والآلوسي، وأبو الطيِّب القِنَّوجيّ.

١٤) أجازَ الطاهر ابن عاشور الاعتراضَ بأكثر مِن جملة مُؤيّداً ما ذهب إليه ابن هشام والشيخ خالد الأزهري، كما في الموضع الثالث والرابع، والسَّادس والسَّابع والثَّامن، والسَّادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر.

١٥) كان لاختلاف القراءات القرآنية في الجملة الاعتراضية أثر واضح في توجيه معناها ودراستها عند الطاهر بن عاشور، كما في الموضع الثالث، والرابع، والحادي والعشرين مِن السورة.

١٦) عَرَضَ الطاهر بن عاشور للقراءات القرآنية في الجملة الاعتراضية في سورة آل عمران بإيجازٍ؛ لإشباع مَن سبقه مِن المفسِّرين لها.

١٧) أظهرت الدراسة حِرْصَ الطاهر بن عاشور عَلَى الأمانةِ العِلمِيّةِ فِي نِسبَةِ الأقوالِ إلى أصْحَابِهَا وتَحَرِّي الدِّقةِ في ذِكرِ آراءِ المُفَسِّرين.

١٨) أجَازَ الطاهر بن عاشور اقتران الجُمْلَةِ الاعْتِرَاضِيَّةِ بالفاء، كما في الموضع الثاني عشر، والثالث عشر، والحادي والعشرين من السورة.

١٩) أجَازَ الطاهر بن عاشور وُقُوعَ اعتِراضٍ فِي اعْتِراضٍ، كما في الموضع العشرين من السورة. وعَلَيه جَمْعٌ مِن المُفسِّرينَ والنَّحويين منهم: النيسابوري، والزمخشري، والبيضاوي، وأبوحيان الأندلسي، والسمين الحلبي، وابن هشام، وناظر الجيش، والشيخ خالد الأزهريّ، وأبو السعود، والشهاب الخفاجي، والشوكاني، والآلوسي.

٢٠) الطاهر بن عاشور هُوَ أوَّلُ مَن ابْتَكَرَ مُصْطَلَحَ: "مُبْتَكَرَاتِ القُرْآن"، فَلمْ يَرِدْ عِندَ العُلَماءِ قبله.

٢١) الطاهر بن عاشور ذو بصيرة في كشف الجملة الاعتراضية ومَا فيهِا مِنْ دقَائقَ وأسْرار ودلالات.

****

- **التوصيات:**

- أنصح طلبة العلم وباحثي اللغة العربية بقراءة تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، والاستفادة منه، واقتناء جواهره، ففيه الأسلوب السهل، والعبارة الموجزة، والأفكار النادرة.
- أنصح بتناول مصطلح "مبتكرات القرآن" عند الطاهر بن عاشور في تفسيره بالبحث والدراسة.

****

هذا عَرضٌ مُوجزٌ لأبرَزِ النتائج التى توصلتُ إليها، وَلَا أَدَّعِي أَنَّنِي قَدْ وفَّيتُ هَذا المَوضُوعَ حَقَّهُ مِن الجُهْدِ والبَحْثِ والدِّرَاسَةِ ، لَكِن حَسْبِي أَنَّنَي بَذَلْتُ فيْهِ قُصَارَى جُهْدِي؛ لِأُقَدِّمِهُ إلى قُرَّاءِ العَرَبِيَّةِ، فَالكَمَالُ لِلهِ –تَعَالَى– وَحْدَه، وإنَّمَا هِيَ مُحَاوَلَةٌ أَرْجُو مِن الله – تَعَالَى–أَنْ يَجْعَلَهَا خَالِصَةً لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، مَقْبُولَةً عِنْدَهُ يَومَ الدِّيْن، وأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيْمَ عَمَّا شَذَّ بِهِ القَلَمُ، أو زَلَّ بِه الفِكْر، وأَسْأَلُهُ– تَعَالَى– حُسْنَ العَاقِبَةِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَة، والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلى رَسولِهِ الصَّادقِ الأمِين، وعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِين.

مِنْ أَمَامِ الكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ –رمضان– ١٤٤٤هـ

المراجع والمصادر

- **القرآن الكريم.**

١. ارتشاف الضرب لأبي حيان الأندلسي، تحقيق د: رجب عثمان، ومراجعة د: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط١، ١٤١٨ – ١٩٩٨م

٢. أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن الواحدي، تحقيق: عصام الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، ط٢، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م

٣. أسرار العربية، لأبي البركات الأنباري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م

٤. الأشباه والنظائر، للسيوطي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م

٥. الأصول في النحو لابن السراج، تحقيق: عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون

٦. إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه، ضبط وتعليق: أبو محمد الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٢٧ هـ – ٢٠٠٦م

٧. إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، دار ابن كثير، دمشق، ط٤، ١٤١٥ هـ

٨. إعراب القرآن الكريم، أحمد عبيد الدعاس وآخرون، دار المنير، دمشق، ط١، ١٤٢٥ هـ

٩. إعراب القرآن للباقولي والمنسوب خطأ للزجاج، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دارالكتاب المصري، القاهرة، ط٤، ١٤٢٠ هـ

١٠. إعراب القرآن، لأبي جعفر النَّحَّاس، تعليق: عبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون

١١. الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح، دار الفكر بعمان، ط٢، ١٤١٨

١٢. الإقناع في القراءات السبع، لابن الباذش، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م
١٣. الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م
١٤. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام، ومعه: عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، لـمحمد محيي الدين عبدالحميد، تحقيق: يوسف البقاعي، دار الفكر، بدون
١٥. إيجاز البيان عن معاني القرآن، لنجم الدين النيسابوري، تحقيق د: حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ
١٦. البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٢- ٢٠٠١م
١٧. البديع في علم العربية، لابن الأثير، تحقيق د: فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، ط١، ١٤٢٠
١٨. البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابى الحلبي وشركاه، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧
١٩. بناء الجملة العربية، د: محمد حماسة عبداللطيف، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٣م
٢٠. تاج العروس للزبيدي، تحقيق/ مجموعة من المحققين، وزارة الإعلام، الكويت، بدون
٢١. التبصرة والتذكرة، أبو محمد عبدالله الصيمريّ، تحقيق د: فتحي أحمد مصطفى، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٢- ١٩٨٢م
٢٢. التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، تحقيق: علي البجاوي، عيسى الحلبي، مصر، بدون.

٢٣. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، ١٩٨٤هـ
٢٤. تذكرة النحاة، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق د: عفيف عبدالرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م
٢٥. التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق د/ حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م
٢٦. تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي، دار
إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د. ت
٢٧. تفسير ابن عرفة، تحقيق د: حسن المناعي، مركز البحوث بتونس، ط١، ١٩٨٦م.
٢٨. التَّفْسِيرُ البَسِيْط، لأبي الحسن الواحدي، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، ط١، ١٤٣٠ هـ
٢٩. تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط١، ١٤١٨هـ
٣٠. تفسير السمرقندي: بحر العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣- ١٩٩٣م
٣١. تفسير الطبري، تحقيق د: عبدالله التركي، دار هجر للطباعة، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م
٣٢. تفسير الفخر الرازي، المشتهر بمفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ
٣٣. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط١، ١٩٩٨

٣٤. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لمحمد الأمين الهرري الشافعي، راجعه
د: هاشم محمد، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
٣٥. تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، لناظر الجيش، تحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٨هـ
٣٦. التيسير في القراءات السبع، للداني، تحقيق/ اوتو تريزل، دار الكتاب العربي– بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م .
٣٧. جامع البيان في القراءات السبع، للداني، طباعة جامعة الشارقة، الإمارات، ط١، ١٤٢٨هـ.
٣٨. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ،دار الكتب المصرية، القاهرة ، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م
٣٩. الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبدالرحيم صافي، دار الرشيد، دمشق، ط٤، ١٤١٨هـ
٤٠. الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، تحقيق د: فخر الدين قباوة، والأستاذ: محمد نديم، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ١٤١٣-١٩٩٢م
٤١. حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، لشهاب الدين الخفاجي، دار صادر – بيروت. بدون.
٤٢. حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، للصبان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧-١٩٩٧م
٤٣. حجة القراءات، لأبي زرعة بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م
٤٤- حروف المعاني والصفات، لأبي القاسم النهاوندي، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م

٤٥- خزانة الأدب وغاية الأرب، للحموي، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال–بيروت، الطبعة الأخيرة، ٢٠٠٤م
٤٦- الخصائص لابن جنى ، تحقيق: محمد على النجار ، ط : الهيئة العامة للكتاب، ط٤، د. ت
٤٧- الدر الفريد وبيت القصيد، لمحمد المستعصمي، تحقيق د: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م
٤٨- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، تحقيق د / أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د. ط، د . ت
٤٩- ديوان ابن ارومي، شرح الأستاذ: أحمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م
٥٠- ديوان السموأل، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٢، ١٤٠٢، ١٩٨٢م
٥١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، تحقيق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤١٥هـ
٥٢- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجَوزي، تحقيق/ عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ
٥٣- زهرة التفاسير، لأبي زهرة، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، بيروت، بدون
٥٤- السبعة في القراءات، لابن مجاهد البغدادي، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط٢، ١٤٠٠هـ
٥٥- سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، بدون
٥٦- سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م

٥٧- شرح (قواعد الإعراب لابن هشام)، لشيخ زاده، دراسة وتحقيق: إسماعيل مروة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م

٥٨- شرح ابن الناظم على الألفية، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلية، بيروت، ط١، ١٤٢٠ - ٢٠٠٠م

٥٩- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ومعه كتاب: منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تأليف/ محمد محيي الدين عبدالحميد، دار التراث، القاهرة، ط٢٠، ١٤٠٠-١٩٨٠م

٦٠- شرح أبيات مغني اللبيب، للبغدادي، تحقيق: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث، بيروت، ط٢ (الجزء ١-٤)، ط١ (الجزء ٥-٨)، ١٣٩٣ - ١٤١٤هـ

٦١- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩-١٩٩٨م

٦٢- شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق د: عبدالرحمن السيد، د: محمد بدوي المختون، دار هجر مصر، ط١، ١٤١٠ - ١٩٩٠م

٦٣- شرح الرضي على الكافية لرضي الدين الاستراباذي، تحقيق د: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، ط٢، ١٩٩٦م

٦٤- شرح الكافية الشافية لابن مالك، تحقيق د: عبدالمنعم هريدى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، جامعة أم القرى بمكة، ط١، د. ت

٦٥- شرح المفصل للزمخشري، تقديم د: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ

٦٦- شرح المقدمة المحسبة، لابن بابشاذ، تحقيق: خالد عبد الكريم، المطبعة العصرية - الكويت، ط١، ١٩٧٧م

٦٧- شرح شذور الذهب لابن هشام، ومعه كتاب: منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب، تأليف/ محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، القاهرة،ط١، ١٣٨٢-١٩٦٣م

٦٨- شرح مقامات الحريري، لأبي عباس أحمد الشُّريشي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦

٦٩- الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤١٩ هـ

٧٠- ضياء السالك إلى أوضح المسالك، لمحمد النجار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ

٧١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت. بدون

٧٢- العنوان في القراءات السبع، لأبي طاهر الأندلسي، تحقيق د: زهير زاهد، د: خليل العطية، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦ م

٧٣- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب القِنَّوجي، مراجعة: عَبد الله الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢-١٩٩٢م

٧٤- فتح القدير ، لمحمد بن علي الشوكاني ، دار ابن كثير، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ

٧٥- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، للطيبي، تحقيق: إياد الغوج، نشر جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣

٧٦- الفصول الخمسون لابن معطي، تحقيق : محمود محمد الطناحى، طبع عيسى الحلبى ، د . ط ، د . ت

٧٧- الفوائد المحررة فى شرح مسوغات الابتداء بالنكرة، لأبي الفداء العجلوني، تحقيق الدكتور/ حمدي عبدالفتاح، دار الزهراء للطباعة، الزقازيق، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م
٧٨- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجب الهمذاني، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان للنشر، السعودية، ط١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م
٧٩- الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م
٨٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣ ،١٤٠٧هـ
٨١- الكنز في القراءات العشر، للواسطي، تحقيق: د/ خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م
٨٢- الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، لأحمد بن إسماعيل الشافعي، تحقيق الشيخ: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
٨٣- اللباب في علل البناء والإعراب، للعكبري، تحقيق د: عبدالإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ -١٩٨٦م
٨٤- اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م
٨٥- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ
٨٦- المبسوط في القراءات العشر، لأبي بكر النيسابوريّ، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨١م

٨٧- المجتبى من مشكل إعراب القرآن، للخراط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٦ هـ
٨٨- مجمع الأمثال للميداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت، بدون
٨٩- مجموع أشعار العرب، وفيه ديوان رؤبة بن العجاج ، اعتنى بتصحيحه: وليم بن الورد البروسي، دار بن قتيبة، الكويت، بدون
٩٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية الأندلسي ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٢٢ هـ
٩١- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د: مهدي المخزومي، ط٢، ١٩٥٨ م
٩٢- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملا القاري، دار الفكر، بيروت ط١، ١٤٢٢هـ
٩٣- المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل، تحقيق د/ محمد كامل بركات، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٢- ١٩٨٢م
٩٤- المسائل الشيرازيات، لأبي علي الفارسي، تحقيق د: حسن هنداوي، كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٤- ٢٠٠٤م
٩٥- مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د/ حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ
٩٦- معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، يروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ
٩٧- معاني القراءات للأزهري، مركز البحوث بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، ط١، ١٤١٢ هـ

٩٨- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م

٩٩- معاني القرآن، للفراء، تحيق: أحمد النجاتي، محمد النجار، عبدالفتاح اسماعيل شلبي، دار المصرية، مصر، ط١، د. ت

١٠٠-تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ

١٠١-معاني النحو، د: فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، الأردن، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

١٠٢-معجم الصواب اللغوي، للدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٢٩ هـ

١٠٣-معجم اللغة العربية المعاصرة، د / أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩-٢٠٠٨ م.

١٠٤-مغني اللبيب لابن هشام، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمدالله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م

١٠٥-مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني، لأبي العلاء الكرماني، تحقيق: عبد الكريم مدلج، تقديم د/ محسن عبد الحميد، دار ابن حزم للطباعة، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

١٠٦-مقامات الحريري، لأبي القاسم الحريري، مطبعة المعارف، بيروت، ١٨٧٣م

١٠٧-المقتضب للمبرد، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، بدون

١٠٨-موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، للشيخ خالد الأزهري، تحقيق/ عبد الكريم مجاهد، الرسالة، بيروت، ط١ ، ١٤١٥هـ ١٩٩٦م

١٠٩-همع الهوامع للسيوطي، تحقيق د/عبدالحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، بدون.